ذنوب الخلوات

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

دار الاستقامة

جمهورية مصر العربية

٨١ شارع الهدي المحمدي - أحمد عرابي - مساكن عين شمس - القاهرة

تليفون: ٠٠٢٠١٠٠١٧١٤١٤٨ - ٠٠٢٠١١٢١١١٠٤٠٥ - ٠٠٢٠١١٢٢٦٨٨٨١٤

تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٩٨٧٦٢٧٧

Zahran_@Yahoo.com

Zahran19751@gmail.com

ذنوب الخلوات

فضيلة الشيخ الدكتور

عبد الرحمن بن علي العسكر

حفظه الله

الاستقامة

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين، أَحْمَدُه سُبْحَانَهُ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيهِ، هُو كَمَا أَثنَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، خَلَقنَا مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ، يَعْرِفُ: ضَعْفَنَا، وَعَجْزَنَا، وذُلَّنَا، وَخُضُوعَنَا، وَرَغْبَتَنا، وَهُو أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفِسِنَا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِه، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ. أَمَا بَعْدُ:

الحِكْمَةُ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَعَالى لِلخَلقِ

لمَّا خَلَقَ اللهُ ﷻ خَلْقَهُ فِي هَذِه الدُّنيَا؛ لِيَعْمُرُوهَا بِطَاعَتِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ امتِثَالًا لِقَولِه ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، جَعَلَ كُلَّ مَا يُخَالِفُ عِبَادَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُخَالفًا لِهَذَا الأَصْلَ، بَل جَعَلَ الكَوْنَ كُلَّهُ يَتَغَيَّرُ وَيَتَأَثَّرُ بِسَبَبِ مُخَالَفَاتِ العِبَادِ لِرَبِّهِم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فَكَمَا أَنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ الجِنَ والإِنسَ لِعِبَادَتِه، فَهُو ﷻ: خَلَقَ

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، وَخَلَقَ الجِبَالَ، وَخَلَقَ البِحَارَ، وَخَلَقَ الأَنْهَارَ، وَخَلَقَ الحَيَوَانَاتِ كُلَّهَا لِتَوْحِيدِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَإِقَامَةِ دِينِه؛ وَلِذَلِكَ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُوجَد فِي الأَرضِ مُوحِّدٌ لَمْ تَسْتَقِمْ الدُّنيَا؛ يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، يَعْنِي: لَوْ كَانَ هُنَاكَ شَخْصٌ، أَو كَانَ هُنَاكَ إِلهٌ يَستَحِقُّ العِبَادَةَ غَيْرُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتِ والأَرضِ.

بَل أَعجَبُ مِن ذَلكَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ ذَكَرَ فِي خَاتِمَةِ سُورَةِ مَريَمَ فَقَالَ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ هَذِه السَّمَاوَاتُ العَظِيمَةُ تَتَفَطَّرُ، ﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾ هَذِه الأَرضُ العَجِيبَةُ المُنبَسِطَةُ تَنشَقُ، ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠]!؛ لِمَاذَا؟!؛ لِأَنَّ اللهَ عُصِيَ، وَارتُكِبَ فِي حَقِّ اللهِ مَظلَمَةٌ كَبِيرةٌ؛ ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩١-٩٢]، سُبْحَانَهُ وَبِحَمدِه.

الذُّنُوبُ وَالمَعَاصِي سَبَبُ الوَبَالِ عَلَى الكَونِ كُلِّهِ

فَالذُّنُوبُ وَالمَعَاصِي سَبَبُ وَبَالٍ عَلَىٰ الكَوْنِ كُلِّه، وَلَيْسَت خَاصَّةً بِمَنْ يَرتَكِبُ هَذَا الذَّنبَ، وَلَيْسَت خَاصَّةً بِمَنْ يَفعَلُ هَذِه المَعْصِيَةَ،

وَلَيْسَت خَاصَّةً بِأَهلِ بَلَدِهِ، أَو بَأَهلِ قَريَتِهِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ السِّبَاعَ وَالبَهَائِمَ تَجْأَرُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ بِسَبِبِ ذُنُوبِ بَنِي آدَمَ، وَأَنَّهَا لَا تُمْطَرُ بِسَبَبِ مَا يَقَعُ مِن الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي؛ وَلِذَلكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ قَضَىٰ أَنْ يَكُونَ فِي هَذِه الدُّنْيَا مَنْ يَعْبُده سُبْحَانَهُ حَقَّ عِبَادَتِه حَتَىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ، ولَا يُمْكِن أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ وَفِي الأَرضِ مَنْ يُوَحِدُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حقَّ تَوْحِيدِه؛ وَلِذَلكَ جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَىٰ أَحَدٍ يَقُولُ: اللهُ، اللهُ»(١)، وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَىٰ شِرَارِ الْخَلْقِ»(٢).

المَقْصُودُ: أَنَّ العَبْدَ أُمِرَ بِطَاعَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ونُهِيَ عَنْ مَعْصِيَتِه، وَمِنْ أَعظَمِ مَا يُعصَىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِه هِيَ الذُّنُوبُ والمَعَاصِي.

اللهُ العَلِيمُ الحَكِيمُ بِحِكْمَتِه قَدّر عَلَى عِبَادِه الوُقُوع فِي الذُّنُوبِ والمَعَاصِي

فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمَّا خَلَقَ خَلْقَهُ وَأَمَرَهُم بِعِبَادَتِه، قَدَّرَ عَلَيْهِم أَنْ يَقَعُوا فِي الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي لِحِكَمٍ عَظِيمَةٍ، فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

(١) أخرجه مسلم (٢٣٤) - (١٤٨). عَنْ أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٦) - (١٩٢٤). عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مِنْذُ أَنْ خَلَقَ وَالِدَنَا آدَمَ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ وِقَدَ سَلَّطَ عَلَيْنَا عَدُوًّا هُو إِبْلِيس، قَالَ اللهُ ﷻ عَنهُ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، فَاللهُ ﷻ قَدْ ابتَلانَا بِهَذَا الشَّيْطَان الَّذِي حَلَفَ بِعِزَّةِ رَبِّنا سُبْحَانَهُ أَنْ: يُغْوِي بَنِي آدَمَ، وَأَن يُضِلَّهُم، وَأَن يُوقِعِهُم فِي الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي.

قَدَّرَ اللهُ ﷻ عَلَيْنَا الذُّنُوبَ؛ يَقُولُ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ»(١).

قَدَّر اللهُ ﷻ عَلَىٰ ابْنِ آدَمِ حَظَّهُ مِن الذُّنُوبِ، كَمَا قَالَ ﷺ: « إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ»(٢)، وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ مُفَتَّنًا تَوَّابًا نَسَّاءً، إِذَا ذُكِّرَ ذَكَرَ»(٣)، وَقَالَ ﷺ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (١١) - (٢٧٤٩). عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٤٣، ٦٦١٢)، ومسلم (٢٠) - (٢٦٥٧).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٨٢) (١٠٦٦٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٥٩) (٢٤٩٩). قال الألباني: حسن. والحاكم (٤/ ٢٧٢) (٧٦١٧). قال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإسنَاد، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

لِمَاذا قَدَّر اللهُ ﷻ عَلَيْنَا الذُّنُوبَ وَالمَعَاصِي؟!

سُؤالٌ يَدُور فِي أَذهَانِ كَثيرٌ مِن النَّاسِ: لِمَاذا قَدَّرَ اللهُ ﷻ عَلَيْنَا الذُّنُوبَ وَالمَعَاصِي؟!

لِلجَوَابِ عَلَىٰ ذَلِكَ نَقُولُ مُسْتَعِينِينَ بِاللهِ تَعَالَىٰ: قَدَّرَهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لِحِكَمٍ بَلِيغَةٍ وَعِبَرٍ عَظِيمَةٍ، مِنهَا:

أَولًا: أَعظَمُ تِلكَ العِبَر: أَنْ يُقِيمَ الحُجَّةَ عَلَىٰ عِبَادِه؛ لِيَكُونَ عَادِلًا فِيهِم.

فَمَنْ أَطَاعَهُ نَالَ جَزَاءَهُ، وَمَنْ عَصَاهُ وَوَقَعَ فِي الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي نَالَ جَزَاءَهُ؛ مَنْ يَعْمَل خَيْرًا يَجِدْهُ، وَمَنْ يَعْمَل سُوءًا يَجِدْهُ؛ لَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.

ثَانيًا: قَدَّرَ اللهُ ﷻ عَلَىٰ عِبَادِه وُقُوعَهُم فِي الذُّنُوبِ وِالمَعَاصِي؛ لِتَتَحَقَقَ مَعَانِي أَسْمَاءِ اللهِ وصَفَاتِه.

فَإِنَّ مِنْ دَلَائِلِ عَظَمَةِ اللهِ ﷻ تَعَدُّدِ أَسْمَائِه وَصِفَاتِه، فَهُو سُبْحَانَهُ: الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الغَفَّارُ، الغَفُورُ ذُو مَغْفِرَةٍ وَاسِعَةٍ، اللَّطِيفُ بِعِبَادِه؛ لَا يُمكِنُ أَنْ يَكُونَ رَحِيمًا دُونَ أَنْ يَكُونَ ثَمَّةَ خَلقٌ يُذنِبُونَ فَيَسْتَرحِمُونَ رَبَّهُم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فَيَرحَمُهُم.

تَظْهَرُ مَعَانِي أَسْمَاءِ اللهِ ﷻ حِينَمَا يَسْتَلْطِفُ العبادُ ربَّهم ﷻ، حِينَمَا يَسْتَرْحِمُونَهُ؛ ولِذلِك تَظْهَرُ مَعَانِي أَسْمَاءِ اللهِ ﷻ حِكْمَةً مِنْ حِكَمِ تَقْدِيرِهِ الذُّنُوبَ والمَعَاصِي علَىٰ عِبَادِه.

ثالثًا: قدَّرَ اللهُ ﷻ عَلَىٰ عِبَادِه وُقُوعَهُم فِي الذُّنُوبِ وِالمَعَاصِي؛ لِيَتَولَّدَ مِنْهُم: الخَوفُ، وَالذُّلُ، والإِنَابَةُ إِلَىٰ اللهِ ﷻ.

لِأَنَّ العَبْدَ كُلَّمَا بَعُدَ عَنْ رَبِّه سُبْحَانَه هو أَحْوَجُ مَا يَفْتَقِر إِلَيه، حَتَّىٰ يَكُونَ المُسْلِمُ ذَلِيلًا خَاضِعًا خَاشِعًا؛ قَدَّرَ اللهُ ﷻ عَلَيه أَنْ يَقَعَ فِي هَذِهِ الذُّنُوبِ.

ولِذَلِك يُحِبُّ اللهُ ﷻ مِن عِبَادِه الَّذِينَ إِذَا وَقَعُوا فِي ذَنْبٍ بَادَرُوا بِالتَّوبَةِ، بَل اللهُ ﷻ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ إِذَا تَابْ إِلَيه، بَل اللهُ ﷻ أَرْحَمُ بِعِبَادِه مِن الوَالِدةِ بِوَلَدِها.

فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يَمَلْ، ولَا يَغْضَبْ ولَا يُؤْذِيه كَثْرَة اسْتِغْفَارُ عِبَادِه مَهْمَا بَلَغُوا مِنْ الذُّنُوب والمَعَاصِي؛ حِكْمَةٌ بَالغةٌ مِنهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

رَابِعًا: اللهُ ﷻ قدَّرَ عَلىٰ عِبَادِه الذُّنُوبَ والمَعَاصِي؛ لِيُمَيِّز بَيْنَ مَن يَخَافُه مِمَّن لا يَخَافُه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ [المائدة: ٩٤]، فَحَتَّىٰ يَتَمَيَّزَ العِبَادُ، ويَعْرِفُ اللهُ ﷻ قُوَّةَ إِيْمَانِ النَّاسِ وَضَعْفِهِمْ؛ ابْتَلَاهُم بِهَذِه الذُّنُوب؛ لِيَعْرِفَ مَنْ يَخَافُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي الغَيْبِ.

خَامِسًا: قَدَّرَ اللهُ ﷻ علَىٰ عِبَادِهِ الذُّنُوبَ والمَعَاصِي؛ لِأَنَّ عِبادَةَ التَّوبَة مِنْ أَعْظَمِ العِبَادَاتِ والقُرُبَاتِ إِلَىٰ اللهِ ﷻ، بَل هِيَ مِنْ أَحَبِّ العِبَادَاتِ إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

كَمَا جَاءَ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ تَدُلُّ عَلَىٰ هَذَا الأَمْرِ، فاللهُ ﷻ يُحِبُ مِن عِبَادِه: التَّائِبِينَ، المُنِيبِينَ، الخَاضِعِينَ؛ الخَاشِعِينَ، التَّوَّابِينَ كَثِيرِيْ الاسْتِغفَارِ.

الذَّنُوبُ قِسمَان، أَعظَمها جُرمًا ذُنُوب الخَلَوَاتِ

فَاللهُ ﷻ لَمَّا قَدَّرَ الذُّنُوبَ جَعَلَ مِنْ الذُّنُوبِ: مَا هُو ظَاهِرٌ، ومَا هُو بَاطِنٌ، وَجَعَلَ مِنْ الذُّنُوبِ مَا هُوَ خَفِيٌ، وَجَعَلَ مِنْ الذُّنُوبِ مَا هُوَ ظَاهِرٌ عَلَانِيةٌ.

وَجَعَلَ عِظَمَ الذَّنبِ بِحَسَبِ مَوقِعِهِ؛ فَالإِنْسَانُ حِينَمَا يَقَع فِي مَعْصِيَةٍ وَحِينَمَا يَقَعُ فِي ذَنْبٍ فَقَدْ ارْتَكَبَ هَذَا الجُرْم؛ لَكِنْ يَزْدَادُ جُرْمُه جُرمًا إِذَا وَقَعَ ذَلِكَ فِي خَلْوَتِه، لَا يَعْلَمُ بِهِ إِلَّا الله؛ لِأَنَّه بِارْتِكَابِه الذَّنْبَ فِيه عَدَمُ تَعْظِيم للهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢٢٠]؛ لِذَلِكَ العُلَمَاءُ يَقُولُون إِنَّ الذُّنُوبَ الَّتي يَخْلُوا العَبْدُ بِهَا ثَلَاثَةُ أَنْوَاع: أَعْظَمُهَا خَلْوَةُ المُنَافِقِ؛ ولِذَلِكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨]، فَالمُنَافِق أَمَامَ النَّاسِ: مُؤْمِنْ، وَصَادِق، وَيُصَلِّي، وَيُزَكِّي، وَيَصُومُ؛ لَكِنَّهُ فِي السِّرِ والخُفْيَةِ عَن النَّاسِ يَعْصِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ، يَظُنُ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَرَاهُ، يَظُنُّ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَطَّلِعُ عَلَيهِ، يَظُنُّ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُن.

يَقُولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، يَعنِي: الثَّلَاثَةُ إِذَا جَلَسُوا فِي مَكَانٍ مُنْطَوِيينَ مُنْعَزِلِينَ فَاللهُ عَزَّوَجَلَّ هُو رَابِعُهُم، ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ

إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ [المجادلة: ٧].

ويقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾ [المجادلة: ٦]، يَعْنِي: يَوْمُ القِيَامَةِ يَأتِي العَبْدُ يَظَنُّ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ نَسِيَ، واللهُ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنسَىٰ؛ مَا يَقَعُ مِن عَبْدِهِ مِن ذَنْبٍ حَتَّىٰ وإِن لَمْ يَكُنْ يَعْلَم بِه أَحَدٌ، وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابنُ ماَجَةَ وَغَيْرُه بِسَنَدٍ حَسَنٍ، يَقُولُ ﷺ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا»(١)، أيْ: يَقُومُونَ فَيُصَلُّونَ مِن اللَّيْلِ كَمَا تَصَلُّونَ، وَهُم فِيمَا يَظْهَرُ للنَّاسِ: مُطِيعِينَ، خَاشِعِينَ، مُصَلِّينَ؛ لَكِنَّهُم إذَا خَلَوْا بَمَحَارِمِ الله انْتَهَكُوهَا؛ فَيَأْتُونَ يومَ القِيَامَةِ بَأعَمَالٍ أَمْثَالِ الجِبَالِ يَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا، يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤١٨) (٤٢٤٥). قال الألباني: صحيح.

٢٣]، هَؤلَاءِ هُم الْمُرَاؤُونَ؛ هُمْ الَّذِينَ يُظْهِرُون لِلنَّاسِ العَمَلَ الصَّالِحَ وَلَكِن فِي دَوَاخِلِ أَنْفُسِهِم يَعْصُونَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، لَا يَنْوُونَ بِها عِبَادَةً خَالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

إنَّ مِن الخَلوةِ الخَلوةُ بِالمَعْصِيَةِ، حِيْنَمَا يَقْدُمُ الإِنْسَانُ عَلَىٰ مَعْصِيةٍ فَيَعصِي اللهَ عَزَّوَجَلَّ بِهَا فِي خَلْوَتِهِ؛ لِذَلِكَ أُثِرَ عَن بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّه قَالَ: لَا تَكُونُوا عَدُوًا لِإِبْلِيسَ فِي العَلَانِيَةِ، صَدِيقًا لَهُ فِي السِّرِ، بَأَنْ تَكُونَ أَمَامَ النَّاسِ تُبْغِضُ إبلِيسَ ولَا تَعْصِي رَبَّكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فَإِذَا خَلَوْتَ بِنَفْسِكَ وَلَمْ يَكُنْ مَعَكَ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ إبليسُ صَدِيقًا لَكَ، فَأَطَعتَهُ فِي مَعْصِيةِ اللهِ فَارْتَكَبْتَ مَا نَهاكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْهُ، فَكُنْتَ صَدِيقًا لَهُ فِي السِّرِ عَدوًا لَهُ أَمَامَ النَّاسِ.

وَلِأَجْلِ عِظَمِ خَفَاءِ المَعصِيةِ؛ فَقَدْ عَظَّمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي مُقَابِلِهَا بَعْضَ العِبَادَاتِ الخَفِيَّة، ومِنهَا غُسْلُ الجَنَابَةِ؛ فَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثٍ أَنَّ النَّبِيَ ﷺ قَالَ: »خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ: مَنْ حَافَظَ عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ عَلَىٰ وُضُوئِهِنَّ وَرُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ وَمَوَاقِيتِهِنَّ، وَصَامَ رَمَضَانَ، وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا،

وَأَعْطَىٰ الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، وَأَدَّىٰ الْأَمَانَةَ» قَالُوا: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، وَمَا أَدَاءُ الْأَمَانَةِ؟ قَالَ: الْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ(١)، جاء في رواية: «فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَأْمَنِ ابْنَ آدَمَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ غَيْرَهَا»(٢)؛ لِأَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا أَجْنَبَ وَوَقَعَ فِي جَنَابَةٍ لَا يَعلَمُ بِهِ أَحَدٌ، فَالغُسْلُ بَيْنَهُ وَبَينَ اللهِ لَا يَرَاهُ أَحَد، فَلَا تَعْلَمُ هَل هُوَ قَدْ تَطَهَّرَ مِن هَذِهِ النَّجَاسَةِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا؛ وَلِذَلِكَ عَدَّهَا النَّبِيُ ﷺ مِنْ الأَمَانَةِ؛ لَأَنَّهَا عَبَادَةٌ خَفِيَّة لَا يَرَاهَا النَّاسُ.

الذنّوبُ والمَعاَصِي لَهَا أَثَرٌ سَلْبِيٌّ عَلَى مُرتَكِبِيْهَا:

إِذَا ابتُلِيَ المُؤْمِنُ بالذُّنوبِ والمَعَاصِي كَانَ لَهَا أَثَرٌ كَبِيرٌ عَلَيهِ؛ وَلِذَلِك ابنُ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: «إِنَّ لِلحَسَنَةِ ضِيَاءً فِي الوَجهِ، ونُورًا فِي القَلْبِ، وَسِعَةً فِي الرِّزقِ، وَقُوَّةً فِي البَدَنِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الخَلْقِ. وإِنَّ للسَّيئَةِ سَوَادًا فِي الوَجْهِ، وَظُلْمَةً فِي القَلْبِ، وَوَهْنًا فِي البَدَنِ، ونَقْصًا فِي الرِّزْقِ، وَبُغضَةً فِي قُلُوبِ الخَلْقِ»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ١١٦) (٤٢٩). قال الألباني: حسن.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وانظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني (١/ ٢٧١)، (٣٦٩) - (٢٠).

(٣) الداء والدواء = الجواب الكافي لابن القيم (١/ ١٣٥).

فَسُبحَانَ اللهِ ﷻ! العَاصِي لَابُدَّ أَنْ يَجِدَ فِي نَفْسِهِ وَحْشَة، حَتَّىٰ وإِنْ ظَهَرَ أَمَامَ النَّاسِ بَأَنَّهُ يَعِيشُ سَعِيدًا؛ وَلِذَلِك تَجِدُ بَعْضَ النَّاسِ يَظْهَرُون لِغَيرِهِم فِي بَعْضِ الأُمُورِ الَّتِي يَعْمَلُونَها فِي وَسَائِلِ الإِعْلَامِ مَثلًا وَظَاهِرهُم السَّعادَة، لَكِنَّه فِي خُفْيَتِه يَعِيشُ حُرْقَةً فِي دَاخِلِهِ، وَيَعِيشُ أَلَمًا؛ لِأَنَّهُ يَقَعُ فِي مَعَاصِي وَذُنُوبٍ: يُخَالِطُ النِّسَاءَ، أَو يَرْتَكِبُ المُوبِقَاتِ، أَو يَشْرَبُ الخَمْرَ، أَو يَقْضِي لَيْلَهُ فِي غَيرِ طَاعَةِ اللهِ؛ فَهُوَ أَمَامَ النَّاسِ كَأَنَّهُ ضَاحِكٌ مَسْرُور، لَكِن فِي دَاخِلِ قَلْبِهِ يَحْتَرِق؛ لِأَنَّ هَذَا أَثَرُ الذُّنُوبِ والمَعَاصِي.

الذنُوب لا تَأْتِي جُمْلَةً وَاحِدةً بَل تَأتِي شَيئًا فَشَيْئًا:

إِنَّ المُتَدَبِرَ للقُرآنِ الكَرِيمِ يَجِدُ أَنَّ اللهَ ﷻ كَرَّرَ النَّهْيَ عَنْ اتِّبَاعِ خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ فِي أَربَعَةِ مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ العَزِيز، كُلُّهَا بِصِيغَةِ النَّهْيِ عَنْ اتِّبَاعِها، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾(١)، وَلَم يَقُل: لَا تَتَّبِعُوا الشَّيْطَان، ولَعَلَّ ذَلِكَ واللهُ أَعْلَم لِأَن كَلِمَةَ ﴿..خُطُوَٰتِ..﴾ فِيها دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ لَن يَقِفَ عِنْدَ أَوَّلِ خُطْوَةٍ

(١) الداء والدواء = الجواب الكافي لابن القيم (١/ ١٣٥).

فِي المَعْصِيَةِ، بَل هِيَ خُطوَةٌ سَتَتْبَعُهَا خُطُوَات، وَسَيِّئَةٌ سَتَتْبَعُهَا حَتْمًا سَيِّئَاتٍ؛ لِذَلِكَ يَجِبُ عَلَىٰ المُؤمِنِ أَنْ يَحْذَرَ أَشَدّ الحَذَرِ مِنْ أَوَّلِ خُطوَةٍ؛ لِأَنَّها تَبْدَأُ بِأَصغَرِ وَأَهْوَنِ وَأَيْسَرِ الأُمُورِ وَتَنْتَهِي بِأَعْظَمِ الكَبَائِرِ، فَإِنَّ غَايةَ إبليسَ وَمَقْصِدُه وَاحِدٌ، كَمَا أَخبرَ ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وَلِذَلِكَ يَقُولُ النَّبِيُ ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّىٰ تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ» ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].(١)، (صُقِلَ قَلْبُهُ) أَي: نُظِّفَ قَلْبُه مِنْهَا، يَعْنِي: أَنَّ الذُّنُوبَ لَا تَأْتِي جُملَةً وَاحِدَةً بَل تَأتِي شَيئًا فَشَيئًا؛ وَلِذَلِكَ لَا يُمكِنُ لِلإِنسَانِ مَثَلًا أَن يَقَعَ فِي الزِّنَا مُبَاشَرَةً، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَأْتِي بِشَخْصٍ عَاقِلٍ فَتَقُولُ لَهُ افْعَل فِي المَرأَةِ فَيفعَل وَهِيَ لَا تَحِلُّ لَهُ، بَل يَكُونُ لِذَلِكَ مُقدِّمَات، بِدَايَة يَسْتَهِينُ بِالنَّظَرِ الحَرَامِ؛

(١) الأربعة مواضع في سورة: [البقرة: ١٦٨]، و[البقرة: ٢٠٨]، و[الأنعام: ١٤٢]، و[النور: ٢١].

سَواءً فِي شَاشَةٍ أَو مُشَاهدةً مُبَاشِرَة، ثُمَّ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّىٰ يَسْتَحِلَّ الخُلْطَةَ بِالنِّسَاءِ، شَيئًا فَشَيئًا حَتَّىٰ يَسْتَحِلَّ المُكْثَ مَعَهُنَّ، حَتَّىٰ يَقَعَ فِي مُقدِّماتِ الزِّنَا، ثَمَّ يَقَعُ فِي الزِّنَا.

فالمَعْصِيَةُ لَا تَأتِي مَرَّةً وَاحِدةً، بَل شَيئًا فَشَيئًا، فَلَا يُمكِنُ أَن تَجِدَ شَخصًا وَقَعَ فِي المُخَدِّرَاتِ مُبَاشَرَةً، بَلْ تَجِدُهُ شَيئًا فَشَيئًا، يَبدَأُ تَدْرِيجِيًا فِي التَّدخِين، ثُمَّ يُجَالِسُ أَصْحَابَ هَذَا المَرَضَ الخَبِيثَ- المُخَدِّرَات -؛ شَيئًا فَشَيئًا فَيَتَعَوَّدُ عَلَىٰ رَائِحَتِهم، يَتَعَوَّدُ فَيَذُوقُهَا مَرَّةً وَمَرَّتَينِ حَتَّىٰ يَكُونَ مُدمِنًا؛ فَالمَعصِيَةُ تَجُرُّ بَعضُهَا بَعْضًا؛ تُؤَثِّرُ عَلَىٰ صَاحِبِهَا شَيئًا فَشَيئًا، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ ﷻ فَقَالَ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

المُتَقِي لِرَبِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يكون أَشَدّ خَشْيَةً لَهُ فِي السِّرِ؛ وَهَذِه الخَشْيَةُ هِي السّبَبُ الأَعْظَمُ فِي دُخُولِ الجَنّة؛ لأَنّهَا المِيزَانُ الدّقِيق الّذِي سَيُوزَنُ بِه الأَعْمَال يومَ القِيَامَةِ.

وَلِذَلِكَ المُتَّقِي لِرَبِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تَكَلَّم اللهُ ﷻ عَنهُ فِي القُرآن، وَوَصَفَ المُتَّقِين بِشِدَّةِ خَشْيَتِهِم، فَلَا يَخْشَوْنَ اللهَ ﷻ فَقَط

بَل وَصَفَهُم بِشِدَّةَ خَشْيَتِهِم لِرَبِّهِم سُبْحَانَهُ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، مَن هُم المُتَّقُون؟ قَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، فالخَشْيَةُ هُنَا بِمَعْنَىٰ: يَخَافُونَ مِن رَبِهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في السِّرِّ، كَمَا يَخَافُونَهُ فِي العَلَانِيةِ؛ وإلَّا مَا الفَرْقُ بَيْنَ المُتَّقِي وَغَيرُ المُتَّقي؟! ومَا تَعْرِيفُ التَّقْوَىٰ؟، التَّقوَىٰ: هُو أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَكَ وَبَينَ اللهِ وِقَايَة، التَّقْوَىٰ: هُوَ أَن تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإن لَمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ؛ هَذَا أَعلَىٰ مَرَاتِبِ التَّقْوَىٰ: وَهُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَأَنتَ مُختَفٍ عَن النَّاسِ؛ وَلِذَلِكَ يَقُولُ الطَّبَرِيُّ لَمَّا فَسَّرَ هَذِهِ الآيَةِ، قَالَ: إِنَّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ مَعَانٍ مِن أَعظَمِهَا أَنَّهُم يَخشَونَ اللهَ ﷻ إذَا غَابُوا عَن النَّاسِ، فإذا خَلوَا بِأَنفُسِهِم عَن أَعيُنِ النَّاسِ فَهُم أَشَدُّ خَشيَةً للهِ تَعَالَىٰ، تَزْدَادُ خَشْيَتُهُم للهِ فِي الخَفَاءِ أَكثَرَ مِن خَشْيَتِهِمْ لَهُ ﷻ أَمَامَ النَّاسِ.

لَقَد جَعَلَ اللهُ ﷻ شَرطَ دُخُولِ الجنَّةِ إنَّمَا هُو لِلمُتَّقِين في قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١]؛ مَن هُم المُتَّقُون؟ ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾، مَن هُو الحَفِيظ؟

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [ق: ٣٣]، يَعنِي: خَشِيَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فِي خَلْوَتِهِ.

فالخَلْوَة هِيَ أَهَمُّ مِيزَانٍ يَزِنُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ الأَعمَالَ يومَ القِيَامَةِ، فَيَنظُرُ هَل أَنتَ فِي خَلْوَتِكَ، حِينَمَا تَكُونُ وَحْدَكَ فِي سَيَّارَةٍ، فِي غُرفَةٍ، حِينَمَا تُسَافِرُ، حِينَمَا تَرْكَبُ الطَّائِرَة، حِينَمَا لَا يَكُونُ مَعَكَ أَحَدٌ، هَل أَنتَ تَخْشَىٰ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كَمَا تَخشَاهُ والنَّاسُ يَرَونَكَ؟! هَذَا هُو المِيزَانُ الدَّقِيقُ الَّذِي سَيُوزَنُ بِهِ عَمَلُكَ يومَ القِيَامَةِ، ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق: ٣٢]، مَنْ هُم؟ ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣]؛ فَالقَلبُ المُنِيب: هُوَ المُقْبِلُ عَلَىٰ الطَّاعَةِ.

وَقَالَوا أَيْضًا إِنَّ عَلَامَةَ المُنِيْب: هُوَ أَنْ يَكُونَ عَارِفًا لِحُرْمَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي الْخَلوَةِ كَمَا يَكُونُ عَارِفًا لِحُرْمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي جَلْوَتِهِ أَمَامَ النَّاسِ.

أَشَدّ النَّاسِ خَشْيَةً لِرَبِهِم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَاصّةً فِي الخَلْوَةِ هُم أَنْبِيَاءُ اللهِ تَعَالَى وَرُسُلِهِ؛ وَعَلَى رَأْسِهِم الرَّسُولُ ﷺ.

إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ خَشْيَةً لِرَبِهِم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خَاصَّةً فِي الخَلْوَةِ هُم

أَنْبِيَاءُ اللهِ تَعَالَىٰ وَرُسُلِهِ، فاللهُ ﷻ ذَكَرَ لَنَا مِن خَشْيَةِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ فِي الخَفَاءِ قِصَصًا عَظِيمَةً.

مِن أَعْظَمِهَا قِصَّةُ نَبِيِّ اللهِ يُوسُفَ عَلَيهِ السَّلَام، فهو: شَابٌ، جَمِيْلٌ، وَسِيْمٌ، فِي مُقْتَبَلِ عُمْرِهِ، وَشِدَّةِ نَشَاطِهِ، يَكُونَ عَبْدًا يُبَاعُ وَيُشْتَرَىٰ، وَيَكُونُ عِندَ امْرَأَةٍ، وَهَذِهِ المَرْأَةُ: جَمِيلَة، حَسِيْبَة، زَوْجَةُ المَلِكِ، فِي مَكَانٍ هِيَ لِوَحْدِهَا مَعَهُ؛ وَهِيَ تَأْمُرُ وَهُوَ يَأْتَمِرُ بِأَمْرِهَا، فَلَمَّا عَرَضَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهَا أَظْهَرَ خَشْيَتَهُ للهِ ﷻ فَقَالَ: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣] فَظَهَرَتْ خَشْيَتُهُ مِنَ اللهِ ﷻ فِي السِّرِّ، كَمَا ظَهَرَتْ فِي العَلَانِيةِ؛ مَعَ أَنَّهُ لَن يَعْلَمَ عَنهُ أَحَدٌ، وَلَنْ يَصِلَ إِلَيهِ أَحَدٌ، وَهُوَ فِي مَقَامِ ضَعِفٍ لَيسَ بِمَقَامِ قُوَّةٍ، وَمَعَ ذَلَكَ خَشِيَ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَهَكَذَا المُؤمِنُ يَخْشَىٰ رَبَّهُ ﷻ.

النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا اخْتَلَفَ ثَلَاثَةٌ مِن الصَّحَابَة فِي الصِّيَامِ، فَقَالَ أَحَدُهُم: أَنَا أَصُومُ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ الثَّانِي: أَنَا أَقُومُ اللَّيلَ ولَا أَنَامُ، وَقَالَ الثَّالِثُ: أَنَا لَا أَتَزَوَّجُ النِساءَ؛ كُلُّ ذَلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَسْتَدِلُّوا بِهِ عَلَىٰ: خَشْيَتِهِم للهِ ﷻ، وَخَوْفِهِم مِنْهُ، وَرَغْبَتِهِم فِي مَا عِنْدَهُ؛ فَعَلِم

بِهِم النَّبيُّ ﷺ فَقَالَ: « أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ»؛ فالنَّبِيُّ ﷺ هُو: أَخْشَىٰ النَّاسِ، وَأَتْقَىٰ النَّاسِ، وَهُوَ أَعْبَدُ النَّاسِ؛ لَن تكُونَ عِبَادَتُكَ أَفْضَلَ مَن عَبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ: «لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

وَمِنْ صُوَرِ خَشْيَتِهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَىٰ فِرَاشِي، فَأَرْفَعُهَا لِآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَىٰ أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأُلْقِيَهَا»(٢)، مَعَ أَنَّه في بَيْتِهِ، وَبَيْتُهُ لَا يَدْخُلُهُ أَحَدٌ؛ وَلَكِن لَأَنَّهُ يَجِد تَمْرَةً فَيَخْشَىٰ أَنْ تكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَالصَّدَقَةُ مُحَرَّمَةٌ عَلَيهِ، وَمِنْ شِدَّةِ خَشْيَتِهِ لِرَبِّهِ يَتْرُكُهَا؛ خَوْفًا مِن اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَن يَأْكُلَ طَعَامًا يَحْرُم عَلَيهِ، مَعَ أَنَّ غَلَبَةَ الظَّنِّ أَنهُ لَنْ يَدْخُلَ بَيتَهُ شَيءٌ مِن الصَّدَقَةِ؛ لِأَنَّهُ لَنْ يُدْخَلَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا هَدِيَّة، وَمَعَ ذَلَكَ مِن شِدَّةِ خَوْفِهِ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَخَشْيَتِهِ لَهُ فِي السِّرِّ؛ يَتْرُكُ هَذِهِ التَّمْرَةَ وَلَا يَأْكُلُهَا.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (٥) - (١٤٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٣٢)، ومسلم (١٦٢) - (١٠٧٠).

نَمَاذِجُ مُشْرِقَةٌ لِمَنْ يَخَافُونَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فِي سِرِّهِم:

النَّبِيّ ﷺ ذَكَرَ لَنَا نَمَاذِجَ مِمَن يَخَافُونَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فِي سِرِّهِم؛ وَأَعْظَمُ مِثَالٍ عَلىٰ ذَلِكَ حَدِيث السَّبْعَةِ الَّذِيْنَ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ. ذَكَرَ ﷺ مِنْهُم:

النُّمُوذَجُ الأَوَّلُ: «إِمَامٌ عَادِلٌ»(١).

النُّمُوذَجُ الثَّانِي: «شَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ»(٢).

الشَّابُّ هُوَ أَشَدُّ النَّاسِ شَهْوَةً، وَمَع ذَلِكَ حَافَظَ عَلَىٰ شَبَابِه، وَكَانَ نَاشِئًا فِي طَاعَةِ اللهِ؛ وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ الآخَرِ: « إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَيَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ »(٣)، يَعْنِي: لَيْسَ لَهُ زَيْغٌ، وَلَا التِفَاتٌ إِلَىٰ المُحَرَّمَاتِ، لَمَاذَا يُعْجِبُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ؟!؛ لِأَنَّ الشَّابَ فِي وَقْتِ شَبَابِهِ، وَقْتُ فُتُوَّةٍ، وَوَقْتُ قُوَّتِه، وَوَقْتُ زِيَادِةِ الشَّهْوَةِ فِي كُلِّ شَيءٍ: فِي الطَّعَامِ، والشَّرَابِ، وَفِي كُلِّ شَيءٍ، وَحَتَّىٰ فِي النِّسَاءِ؛ وَمَعَ

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٨٠٦)، ومسلم (٩١) - (١٠٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٨٠٦)، ومسلم (٩١) - (١٠٣١)، واللفظ لهما مع تغاير في بعض الألفاظ.

(٣) أخرجه أحمد (٢٨/ ٦٠٠)، (١٧٣٧١). قال المحقق: حسن لغيره.

ذَلِكَ يُحَافِظُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَيَخْشَىٰ اللهَ عَزَّوَجَلَّ؛ فَيعْجَبُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِنهُ؛ وَلِذَلِكَ بِمَاذَا كَافَأَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ؟! قَالَ ﷺ: « يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ».

النُّمُوذَجُ الثَّالِثُ: «رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ»(١).

هَذِهِ صُوَرٌ لِأَشَدِّ أَنْوَاعِ الخَشيَةِ: حِيْنَمَا لَا يَكُونُ مَعَهُ أَحَدٌ؛ وَمَعَ ذَلِكَ تَدْعُوهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ أَيْ: فِتْنَة، وَذَاتُ مَالٍ لَيْسَتْ بِحَاجِةٍ إِلَيهِ، بَلْ هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيهَا؛ وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ.

النُّمُوذَجُ الرَّابِعُ: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(٢).

يَعْنِيْ: رَجُلٌ لِوَحْدِهِ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ؛ وَلَمَّا ذَكَر اللهَ عَزَّوَجَلَّ بَكَىٰ مِن خَشْيَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فَلَا يَبْكِيْ أَمَامَ النَّاسِ وَهُوَ يُصَلِّي وَيَسْمَعُ قِرَاءَة الإِمَامِ، لَا، بَل يَبْكِي إِذَا كَانَ لِوَحْدِهِ لَا يَرَاهُ الَّا الله؛ فَيَبْكِي خَوْفًا مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فَبِمَاذَا كَافَأَهُ اللهُ؟!؛ قَالَ ﷺ: « يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ».

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٨٠٦)، ومسلم (٩١) - (١٠٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٨٠٦)، ومسلم (٩١) - (١٠٣١).

النُّمُوذَجُ الخَامِسُ: « رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»(١).

نَعَم يَتَصَدَّقُ ويَبْذُلُ لَكِن أَعْظَم الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ السِّرِّ، كَمَا يَقُول النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»(٢)؛ فَالصَّدَقَةُ لَيْسَ أَن تَتَصَدَّقَ أَمَامَ النَّاسِ وَهُم يُشَاهِدُونَكَ، بَل الصَّدَقَةُ الحَقَّةُ هِيَ أَن تَتَصَدَّقَ سِرَّاً وَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْكَ أَحَدٌ، وَلَا يَرَاكَ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

مِن أَضْرَارِ ذِنُوبِ الخَلَوَاتِ: أَنَّهَا سَبَبُ الفَضِيحَةِ، أَصْلُ الانْتِكَاسَاتِ:

وَلِذَلِكَ كَمَا سَبَقَ أَن ذَكَرْتُ قَوْلَ سُحْنُونَ، وَهُوَ أَحَدُ أَئِمَّةِ المَالِكِيَّة، يَقُولُ: إِيَّاكَ أَن تَكُونَ عَدوًا لِإِبلِيسَ فِي العَلَانِيَةِ، صَدِيقًا لَهُ فِي السِّر، يَعْنِي: أَمَامَ النَّاسِ إِبْلِيس عَدُوُّكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُقْدِمَ عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٨٠٦)، ومسلم (٩١) - (١٠٣١)، واللفظ لهما مع تغاير في بعض الألفاظ.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٤٢١) (١٠١٨)، والأوسط (٣٤٥٠)، والصغير (١٠٣٤). وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٥٣٢) (٨٨٨).

وَلَا يُمْكِنُ أَن تَتْرُكَ طَاعَةً؛ لَكِن إِذَا خَلوْتَ بِنَفْسِكَ: تَرَكْتَ الصَّلَاةَ، وَقَعْتَ فِي الحَرَامِ، وارْتَكَبْتَ الَمحْظُورَاتِ؛ فَأَنْتَ صَدِيقٌ لِإبليسَ فِي سِرِّكَ، عَدُوٌ لَهُ فِي عَلانِيَتِكَ.

وَيَقُولُ ابنُ القَيِّمِ كَلَامًا لَمْ أَجِدْهُ فِي كُتُبِه لَكِن نَقَلَهُ عَنْهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، فَيَقُولُ: أَجْمَعَ العَارِفُونَ عَلَىٰ أَنَّ ذُنُوبَ الخَلَوَاتِ هِيَ أَصْلُ الانْتِكَاسَاتِ، وَأَنَّ عَمَلَ عِبَادَاتِ الخَفَاءِ هِيَ أَعْظَمُ أَسْبَابِ الثَّبَاتِ.

فَذُنُوبُ الخَلْوَةِ، وَعَدَم الخَوْفِ مِن اللهِ هِيَ بِدَايَةُ انْتِكَاسِةِ المُؤْمِنِ؛ وَلِذَلِكَ لَو نَقَّبتَ فِي أَيِّ شَخْصٍ انْتَكَسَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ ﷻ لَوَجَدْتَ أَنَّ إِيْمَانَهُ لَمْ يَكُنْ حَقِيْقِيًا.

وَلِذَلِكَ جِيءَ بِرَجُلٍ إِلَىٰ عُمَرَ بِن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدْ سَرَقَ، فَجَاءَتْ أُمُّ الرَّجُلِ تَشْفَعُ إِلَىٰ عُمَرَ كَي لَا يَقْطَعَ يَدَهُ، فَقَالَ: أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ يَا عُمَر أَنْ تَعْفُوَا عَنِّي فَإِنَّهَا أَوَّلُ مَرَّةٍ؛ فَانْظُرُوا مَاذَا قَالَ عُمَرُ! كَلِمَةً عَجِيْبَةً!، قَالَ: كَذَبْتَ لَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ المَرَّةَ الأُولَىٰ، فَأَرَادَ الرَّجُلُ أَن تُثَارَ الظُّنُونُ عَلَىٰ عُمَرَ؛ فَقَالَ: أَعُمَرُ يَعْلَمُ الغَيبَ؟!، أُنظُرُوا يَدَّعِي أَنَّهَا لَيْسَت المَرَّةَ الأَوْلَىٰ؛ فَقَالَ عُمَرُ: لَا، لَا أَعْلَمُ الغَيْبَ، وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ

اللهَ لَا يَفْضَحُ عَبْدَهُ مِن أَوَّلِ مَرَّةٍ، فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا يُمكِنُ أَنْ يَفْضَحَ عَبْدَهُ مِن أَوَّلِ مَرَّةٍ؛ يَقُولُ عَلِيٌّ بِنُ أبي طَالِب: فَقُطِعَت يَدُهْ، ثُمْ لَحِقَتُ بِهِ فَاسْتَحْلَفْتُهُ، فَقَالَ: هَذِهِ المَرَّةُ الحَادِيَةُ والعِشْرُونَ.

فَلَا يُمْكِن أَن يَفْضَحَكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، وَلِذَلِكَ صَاحِبُ الذَّنْبِ إِذَا انْفَضَحَ فَالغَالِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ ذَنُوبٌ، هُنَاكَ مَرَّاتٌ خَفِيَّة لَمْ يُعْلَم بِها؛ وَلِذَلِكَ يُعَاقِبُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ الجَهْرِ بِالمَعْصِيةِ، لِأَنَّهُ لَا يَجْهَرُ الإِنْسَانُ بالمَعْصِيَةِ إِلَّا وِقِدْ أَظْهَرَهَا فِي سِرِّهِ حِينَ لَا يَعْلَمُ بِهَا إِلَّا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الحَسَنُ البَصْرِيُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: لَقَد مَضَىٰ بَينَ يَدَيْكُم أَقْوَامٌ يَتَمَنَّىٰ أَحَدُهُم لَو أَنَّهُ أَنْفَقَ عَدَدَ هَذَا الحَصَىٰ صَدَقَةً؛ وَخَشِيَ أَن لَا يَنْجُوْا مِن ذَلِكَ اليَوْمِ، وَأَنْتُم لَا تَعْمَلُونَ أَعْمَالًا؛ وَمَعَ ذَلِكَ كَأَنَّكُم تَضْمَنُونَ دُخُولَ الجَنَّةِ!، وَيَقُولُ أَيْضًا: إِنَّ المُؤْمِنَ كُلَّمَا ازْدَادَ يَجْمَعُ إِيْمَانًا وَخَشْيَةً، والمُنَافِقُ يَجْمَعُ إِسَاءَةً وَأَمْنًا مِن عُقُوبَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هَذِهِ هِيَ بَعضُ أَضْرَارِ ذِنُوبِ الخَلْوَاتِ، وَهَذِهِ صُوَرُ مِن الذُّنُوبِ الَّتِي يَخْلُوا المَرْءُ بِهَا.

أَسبَابُ الوُقُوعِ فِي الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي، وَخَاصّةً ذُنُوبُ الخَفَاءِ وَالْخَلواتِ

السُّؤَالُ المُهِمُّ: لِمَاذا يُغرَّرُ بالعَبْدِ فَيَقَعُ فِي ذُنُوبِ الخَفَاءِ؟!.

الجَوَابُ بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَىٰ: أَنَّ لِلوقُوعِ فِي ذُنُوبِ الخَفَاءِ أَسْبَابٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

أَوَّلًا: مِن أَسْبَابِ الوُقُوعِ فِي ذُنُوبِ الخَفَاءِ: الاعْتِمَادُ عَلَىٰ عَفْوِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

نَعَمْ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: رَحِيمٌ، غَفُورٌ، لَطِيفٌ، ذُو مَغْفِرَةٍ وَاسِعَةٍ؛ لَكِنَّهُ شَدِيدِ العَقَابِ، لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا يَغْفِر لِمَن يُدمِن عَلَىٰ المَعْصِيَةِ إِنْ لَمْ يُبَادِرْهُ الله عَزَّوَجَلَّ بِالتَّوبَةِ، فَأَنْتَ حِينَمَا تَسْتَغْفِر، نَعَم أَنْتَ مُطَالَب مِنْكَ أَنْ تَسْتَغْفِر، لَكِن مَنْ يَضْمَنُ لَكَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ قَبِلَ تَوْبَتَكَ؟!، مَنْ يَضْمَنُ لَكَ أَنَّ هَذَا العَمَلَ قَدْ قُبِل؟!.

حِينَمَا تُصَلِي صَلاةً تُتِمُ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا، وَتُصَلِّيهَا كَمَا أَمَرَكَ اللهُ، مَنْ يَضمَنُ لَكَ أَنَّ هَذَا العَمَلَ قَدْ قُبِلَ مِنْكَ؟!؛ وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: «سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا، وَرُوحُوا...وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ

عَمَلُهُ الْجَنَّةَ»(١)، يَعْنِي: هَذِهِ الأَعْمَالُ الَّتِي تَعْمَلهَا مَا هِي كَافِيَة، فَلَا تَكفِي لِدُخُولِ الجَنَّةِ؛ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ»(٢)، يَعنِي: هَذِهِ الأَعمَالُ وَالقُرُبَاتُ الَّتِي تَتَقَرَبُ بِهَا إِلَىٰ اللهِ لَا تُؤَهِلُكَ لِدُخُولِ الجَنَّةِ، مَا الَّذِي يُؤَهِلُكَ لِدُخِولِ الجَنَّةِ؟! هُو عَفوُ اللهِ وَرَحْمَتُه؛ فَالمُؤمِنُ لَا يَضْمَنُ دُخُولَ الجَنَّةِ بِالعَمِلَ الصَّالِحِ، فَكَيفَ وَهُو يَقَعُ فِي الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي ثُمَّ يَتُوبُ مِنْهَا!؛ مَنْ يَضْمَنُ لَكَ أَنَّ اللهَ ﷻ تَابَ عَلَيْكَ!؛ وَلِذَلِكَ أُثِرَ عَنْ بَعضِ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ: أَتَمَنَىٰ لَو أَنَّ اللهَ قَبِلَ مِنِّي عَمَلًا صَالِحًا، قَالُوا: لِمَاذَا، قَالَ: لَأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

فَمِنْ أَعْظَمِ مَا يُوقِعُ الإِنسَان فِي المَعْصَيَةِ اعتِمَادُهُ عَلَىٰ عَفوِ اللهِ، وَظَنِّه أَنَّ اللهَ ﷻ كَرِيمٌ عَفُوٌ وَأَنَّ عَفْوَهُ هَذا سَيَشْمَلُه، فَمَنْ يَضمَنُ لَكَ أَنَّ اللهَ ﷻ سَيعفُو عَنكَ؟!، أَو أَنَّ اللهَ ﷻ سَيَتُوبُ عَلَيكَ؟! أَو أَنَّهُ ﷻ سَيقْبَلُ عَمَلَكَ؟!؛ فَلَا بُدَّ مِن استِشعَارِ خَوفِ اللهِ ﷻ، وَمُرَاقَبَتِهِ فِي كُلِّ عَمَلٍ تَعْمَلُه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٤) و(٦٤٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٣) و(٦٤٦٧)، ومسلم (٧٨) - (٢٨١٨). واللفظ له.

ثَانِيًا: مِمَّا يُوقِعُ الإِنْسَانَ فِي الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي: احْتِقَارُ صَغَائِرِ الأَعمَالِ:

فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَمَّا تَكَلَّمَ عَنْ الجَزَاءِ قَالَ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، لَم يَقُلْ مَن يَعْمَلْ ذَنْبًا عَظِيمًا!، بَلْ قَالَ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ!، مَا هِي الذَّرَّةُ: الشَّيءُ الدَّقِيْقُ جِدًا الَّذي تَرَاهُ يَمْشِي فِي الهَواءِ أَثْنَاءَ النَّهَارِ، فَإِذَا مَا طَالَعْتَ فِي الشَّمْسِ تَرَىٰ شَيْئًا يَسِيرًا صَغِيرًا جِدًا؛ هَذِهِ هِيَ الذَّرَّة!، مِثْقَالُ هَذِهِ الذَّرَّةِ إِذَا عَمِلَهَا المُؤمِنُ يُثَابُ عَلَيْهَا، وإِذَا عَمِلَ مِثْقَال سَيِّئَةٍ مِثْل هَذِهِ الذَّرَّةِ الصَّغِيْرَةِ سَيُعَاقَبُ عَلَيْهَا؛ يَقُولَ اللهُ ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، فاللهُ ﷻ سَيُحَاسِبُكَ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَىٰ الصَّغِيرَةِ والكَبِيرَةِ.

فَمِن أَعْظَمْ مَا يُوقِعُ الإِنْسَانَ فِي الذُّنُوبِ أَنَّهُ يَسْتَصغِرُ الصَّغَائِرَ مِن الذُّنُوبِ، يَقُولُ: «يَا ابنَ الحَلَالِ دَعْنَا، هَذَا أَمرٌ بَسِيطٌ وَلَا تَكُن مُتَشَدِّدًا»؛ فَإِنْ قِيلَ لَهُ: اتْرُكْ هَذَا الأَمْرَ، قال: «لَا، الأَمْرُ هَذَا مُخْتَلفٌ

فيه، وسَتُوبَ، هذهِ خَمْسُ دَقَائِقَ ثُمَّ نَمْشِي، اللَّيْلَة هَذِهِ وَتكْفِي»؛ يَأْتِي الشَّيطَانُ فَيُسوِّلُ لَهُ، فَيَسْتَصْغِرَ هَذِهِ الأُمُورَ حَتَّىٰ يتَعَوَّدَ عَلَىٰ الوُقُوعِ فِي المُحَرَّمَاتِ كُلِّهَا.

ثَالِثًا: مِن أَسْبَابِ وُقُوعِ الإِنْسَانِ فِي الذُّنُوبِ والمَعَاصِي: ضَعْفُ خَوْفِهِ مِنْ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَلِذَلِكَ ذَكَرَ اللهُ ﷻ مِن صِفَاتِ المُنَافِقِينَ أَنَّهم: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨].

يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣-١٤]، يُخَاطِبُ اللهُ ﷻ قَومَ نُوحٍ: مَا تَحتَرِمُونَ اللهَ ﷻ، مَا تُوَقِّرُونَ اللهَ ﷻ؛ ، وتَدعُونَ غَيرَه؛ فَيُخَاطِبهُم سُبْحَانَهُ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٣-١٥]، يَعنِي: هَذَا اللهُ العَظِيمُ الَّذِي خَلَقَ السَبعَ السَّمَاوَاتِ الطِّبَاقَ العَالِيَةَ؛ ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ

ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٦-٢٠]، يَعْنِي: هَذِه العَظَمَةُ، وَهَذِه المِنَنُ الَّتِي مَنَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهَا عَلَيكَ ثُمَّ لَا تَسْتَحِي مِنْ اللهِ!!، اسْتَحْيُوا مِنْ اللهِ حَقَ الحَيَاءِ!.

وَلِذَلِكَ إِبرَاهِيمُ عَلَيهِ السَّلاَمُ لمَّا جَاءَ يُنَاقِشُ قَومَهُ، اسْتَنكَرُوا عَلَيهَ كَسرَهُ الأَصنَامِ، فَبِمَاذَا وَصَفَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ؟ قَالَ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٢]؛ فَكَيفَ أَعْصِيهِ؟!، كَيْفَ أَعبُدُ غَيرَهُ؟!، كَيفَ إِذَا خَلَوتُ بِنَفسِي وَهُو يَرَانِي أَعصِيه؟!؛ هَذِا مِنْ عِدَمِ تَعظِيم اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَلِذَلِكَ لَا يُمكِنُ أَنْ يَقَعَ فِي الذَّنبِ شخصٌ فِيه خَوفٌ مِنْ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَإِذَا وَقَعْتَ فِي الذَّنبِ وَالمَعصِيةِ فَانظُر إِلَىٰ قَلبَكَ، وَأَنَّكَ قَدْ نَقَصَ خَوفُكَ مِنْ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِمَّا أَدَّىٰ إِلَىٰ غَلَبَةِ الشَّيطَانِ عَلَيكَ حَتَىٰ وَقَعْتَ فِي هَذِه المَعصِيةِ، قِيسُوا الأَمرَ -ولله عَزَّوَجَلَّ المَثَلُ الأَعلَىٰ-

عَلَىٰ قَدْرِ خَوفِ الابنِ مِنْ وَالِدِه لَا يُمكِنُ أَنْ يَعصِي وَالِدَهُ، إِذَا ذَهَبَتْ هَيبَةُ الوَالِدِ عِندَ ابنِه؛ تَجِد أَنَّهُ يُخَالفُ أَمرَهُ، ويَعصِيه؛ وَكُلَّمَا كَانَ لِلوَالِدِ وَالوَالَدَةِ هَيبَةٌ فِي نُفُوسِ أَبنَائِهِمَا لَا يُمكِنُ أَنْ يَعصُوهُمَا، المُدَرِسُ يَأتِي وَيِدخَلُ عَلَىٰ الطُّلَابِ فَلَا يَتَكَلَمُ أَحَدٌ مِنْ بِدَايةِ الدَّرسِ وَحَتَىٰ نِهَايَتِه، وَيَدخُلُ مُدَرِسٌ آخَر وَكَأَنَّهُ غَيَر مَوجُود؛ وَهَذَه هِي فَرْقُ الهَيبَةِ وِالعَظَمَةِ الَّتِي تُوجَدُ فِي هَذَا المَعَلِّم؛ فَاللهُ عَزَّوَجَلَّ أَحَقُ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنْ النَّاسِ.

جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا، وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: «احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ: «إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَيَنَّهَا أَحَدٌ فَلَا يَرَيَنَّهَا» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ: «اللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَىٰ مِنْهُ مِنَ النَّاسِ»(١)، يَعنِي: إِذَا كُنتُ لِوَحدِي سَأَكُونُ عَارِيًا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُ ﷺ: «اللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَىٰ مِنْهُ مِنَ النَّاسِ»، يَعنِي: اسْتَحِي مِنْ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٤٠) (٤٠١٧)، والترمذي (٥/ ٩٧) (٢٧٦٩). وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. قال الألباني: حسن.

وَلِذَلِكَ أَعْظَمُ مَا تَنْصَحُ العَاصِي بِهِ أَن تَقُولَ: اسْتَحِي مِنَ اللهِ ﷻ؛ وبَعْضُ النَّاسِ قَد تَقُولُ لَهُ: اسْتَحِي مِن اللهِ، ولَا يَأْبَه، لَكِن حِينَمَا تَقُولَ لَهُ: يَا أَخِي اسْتَحِي عَلَىٰ وَجْهِكَ، أَنْتَ وَلَدُ قَبِيلَةٍ، أَنْتَ وَلَدُ أُسْرَةٍ، يَكُفُّ عَن المَعْصِيَةِ؛ عَجِيب!! تَسْتَحِي مِنَ النَّاسِ ولَا تَسْتَحِيْ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هَذَا دَلِيْلٌ عَلَىٰ ضَعْفِ إِيْمَانِكَ فِي قَلْبِكَ.

رَابِعًا: مِن أَسْبَابِ الوُقُوعِ فِي الذُّنُوبِ والمَعَاصِي: البِيْئَةُ الفَاسِدَةُ.

حِيْنَمَا يَكُونُ المُسْلِمِ فِي بِيْئَةٍ فَاسِدَةٍ لَا شَكَّ أَنَّهُ سَيَسْتَجْرِأُ عَلَىٰ الذُّنُوبِ والمَعَاصِي، ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ قِصَّةَ رَجُلٍ: «قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَىٰ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَىٰ أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ

فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَىٰ اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَىٰ أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَىٰ فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَىٰ إِلَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ». قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَىٰ بِصَدْرِهِ(١)، وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: « فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي وَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي وَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا فَوُجِدَ إِلَىٰ هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ لَهُ»(٢). الشَّاهِدُ مِنَ المَوْضُوعِ: أَنَّ هَذَا العَالِمَ دَلَّهُ عَلَىٰ أَن يَخْرُجَ مِن البِيْئَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا، فَإِنَّه مَا قَادَه إِلَىٰ الوُقُوعِ فِي الذُّنُوبِ: وَهِيَ قَتْلُ الأَنْفُسِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللهُ ﷻ بَغَيْرِ حَقٍّ؛ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِي بِيئَةٍ فَاسِدَةٍ.

وَلِذَلِكَ أَقُولُ إِنَّ أَكْثَرَ مَا يَضُرُ الإِنْسَانَ فِي حَيَاتِه هِيَ البِيئَة

---

(١) أخرجه مسلم (٤٦) – (٢٧٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٠).

الفَاسِدَة: بِيئَةُ المَدْرَسَةِ، ثُم بِيئَةُ العَمَلِ؛ لِأَنَّ الطَّالِبَ يَجْلِسُ فِي مَدْرَسَتِهِ سِتُّ سَاعَاتٍ مُتَوَاصِلَة، ولَا يَجْلِسُ مَعَ أَهلِه فِي البَيْتِ هَذِهِ المُدَّةِ المُتَوَاصِلَة؛ لِأَنَّهُ يَنَامُ سِتّ سَاعَاتٍ، وثَلَاثُ سَاعَاتٍ لِوَحْدِهِ، وَسَاعَةٌ مَعَ أَبِيهِ، وَسَاعَةٌ مَعَ أُمِّهِ؛ أَمَّا فِي المَدْرَسَةِ يَجلِسُ سِتّ سَاعَاتٍ كَامِلَة؛ فَإِذَا كَانَت بِيئَةُ المَدرَسَةِ فَاسِدةً فَلَا شَكَ أَنَّها سَتُؤَثِّر عَلَيهِ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الوَظِيفَةِ؛ وَلِذَلِكَ تَجِدُ بَعضَ النَّاسِ يَدْرُسْ وَيَتَخَرَّجْ مِن الجَامِعَةِ وَهُوَ عَلَىٰ مَسلَكٍ رَشِيدٍ، ثُمَّ يَبْتَلِيهِ اللهُ ﷻ بِمَقَرِّ عَمَلٍ فِي بِيئَةٍ فَاسِدَة: المُوظَّفُونَ فَاسِدُونَ، أَو فِيهَا اخْتِلَاط، أَو فِيهَا مُجُون، أَو فَيهَا غِنَاء، أَو فِيهَا عَدَم خَوْف مِنَ اللهِ، أَو لَا يُؤَدُّونَ الصَّلَاة؛ فَتَجِد سُبْحَانَ الله ﷻ -إِلَّا مَا نَدَرْ- أَنَّهُ يَتَأَثَّرُ بِهِم؛ لِأَنَّهُ كَمْ يَجْلِسْ مَعَهُمْ؟ يَجْلِسُ مَعَهُمْ سِتّ سَاعَاتٍ مُتَوَاصِلَة أَو أَكْثَر.

لِذَلِكَ أَحْرَصُ مَا يَنْبَغِي عَلَىٰ المُسْلِمِ أَن يَحْرِصُ عَلَيهِ: هِيَ البِيئَةُ الَّتي يَعِيْشُ فِيهَا؛ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ المَكَانِ الصَّالِحِ الَّذي يَمْكُثُ فِيهِ.

وَلِذَلِكَ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الحَدِيثِ السَّابِقِ فِي السَّبْعَةِ الَّذين يُظِلُّهُم

اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَا ظِلُّهُ قَالَ: «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ»(١)، وفي الرواية الأخرىٰ:» وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالْمَسَاجِدِ»(٢)، يَقُولَ العُلَمَاءُ مَعنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّهُ يَتَمَنَّىٰ أَنْ يَجْلِسَ كُلَّ وَقْتِهِ فِي المَسْجِدِ، يَعنِي: مَا يَخْرُجُ مِن المَسْجِدِ إِلَّا وَيَتَمَنَّىٰ الرُّجُوعَ إِلَيهِ؛ لِحُبِّهِ فِي المَسْجِدِ وِالجُلُوسَ فِيهِ والتَّقَرُّبَ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هَذِهِ هِيَ بَعْضُ أَسْبَابِ الوقُوعِ فِي الذُّنُوبِ؛ وَبِخَاصَّةٍ الذُّنُوبَ الخَفِيَّةِ، فَإِنَّ الإِنْسَانَ إِذَا كَانَ فِي بِيئَةٍ فَاسِدَةٍ؛ يَبْدَأُ فِي الوُقُوعِ فِي الذُّنُوبِ، فإِذَا عَادَ إِلَىٰ مُجْتَمَعِهِ تَجِدُ أَنَّهُ عَادَ لِأَعْمَالِهِ الصَّالِحةِ.

إِذَا سَافَرَ فمِن حِينِ يَرْكَبْ الطَّائِرَةَ يتغير، وَكَأَنَّ الدِّيْن عَبَاءَة يَخْلَعُهَا فَيَبْدَأُ يَقَعُ فِي المُحَرَّمَاتِ، ثُمَّ يُسَافِرِ إِلَىٰ البِلَادِ الأُخْرَىٰ وَهُوَ مُسَافِر لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ؛ وَلِذَلِكَ كَيْفَ يُغْوِيْ الشَّيْطَانُ النَّاسَ حَالَ سَفَرِهِم فَيَقَعُونَ فِي الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي؟! يَقُولُ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ: لَا أَحَد يَعْرِفُكَ، وَكَأَنَّ اللهَ ﷻ لا يَعْرِفُنَا إِلَّا فِي بَلَادِنَا!.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (٩١) - (١٠٣١).

(٢) أخرجه أحمد (١٥/ ٤١٤)، (٩٦٦٥).

ولِذَلِكَ الإِنْسَانْ إِذَا خَلَا بِنَفْسِهِ يَظْهَرُ عَلَيهِ مِقْدَارُ خَشْيَتِهِ لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

عِلَاجُ الذُّنُوبِ والمَعَاصِي:

السُّؤَالُ الَّذي يَنْتَظِرُهُ مُعْظَمُ العِبَادِ، إِنْ لَمْ يَكُونُوا كُلُّهم، مَا عِلَاجُ هَذِهِ الذُّنُوبِ الَّتي قَدْ يَقْتَرِفُهَا العَبْدُ؟!

إِنَّ الإِجَابَةَ عَن هَذَا السُؤَالِ مُهِمَّةٌ جِدًا؛ لِأَنَّهَا بِمَثَابَةِ الدَّواءِ والعِلَاجِ بَعْدَ ذِكْرِ الدَّاءِ والمَرَضْ، لِذَلِكَ نَقُولُ -وبِاللهِ التَّوفِيق-: لِعِلَاجِ الذُّنُوبِ والمَعَاصِي أَسْبَابٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

أَوَّلًا: أَعْظَمُ العِلَاجِ هُوَ: التَّوْبَةُ إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، يَعْنِي: وَقَعُوا فِي ذَنْبٍ خَفِيٍّ فَتَذَكَّرُوا عَظَمَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فَمَا كَانَ مِنْهُم إِلَّا أَنْ عَادُوا إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَتَابُوا واسْتَغْفَرُوا اللهَ فَتَابَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عليهم.

لِذَلِكَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ

الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئًا، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَّةً وَلَا دَاجَّةً إِلَّا أَتَاهَا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: «فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟» قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «نَعَمْ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهُنَّ»، قَالَ: وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّىٰ تَوَارَىٰ.(١)، يَعْنِي: أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِذَا تَابَ عَلَىٰ العَبْدِ، فَكَرَمُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَعْظَمُ كَرَمْ، لَا يَتُوبُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ الإِنسَانِ فَقَط، بَل إِنَّهُ لِكَرَمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُبَدِّل سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

تَصَوَّر أَنَّ الإِنسَان إِذَا صَدَقَ التَّوبَةَ مَعَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: فَيُثِيبُهُ اللهُ عَلَىٰ هَذِهِ التَّوْبَة، وَيَقْبَلُهَا مَنْهُ، ثُمَّ يَحوِّلُ كُلّ هَذِهِ السَّيِّئَاتِ إِلَىٰ حَسَنَاتِ؛ كُلُّ هَذا فَضْلٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ!، لَكِن أَينَ التَّائِبُونَ؟!، لَكِن أَيْنَ المُسْتَجِيبُونَ للهِ عَزَّوَجَلَّ؟!، أَيْنَ الرَّاجِعُونَ؟!، أَيْنَ الخَائِفُونَ؟!.

جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي؛

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٣١٤) (٧٢٣٥)، ومعجم الصحابة للبغوي (٣/ ٣٢٢) (١٢٦٢)، ومعجم الصحابة لابن قانع (١/ ٣٤٩).

فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي؛ فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»(١)، لَيسَ مَعْنَىٰ يَفْعَلُ مَا شَاءَ يَعْنِي أَنَّهُ يَقَعُ فِي الذُّنُوبِ، لَكِنَّه كُلَّمَا استَغْفَرَنِي غَفَرْتُ لَهُ، كُلَّمَا تَابَ مِن سَيِّئَةٍ وَقَعَ فِيهَا فَأَنَا أَفْعَلُ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ فَأَتوبُ عَلَيهِ.

وَيَقُولَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ ذَنْبٌ يَعْتادُهُ: الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ، أَوْ ذَنْبٌ هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ لَا يُفَارِقُهُ حَتَّىٰ يُفَارِقَ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ مُفْتَنًا تَوَّابًا نَسِيًّا إِذَا ذُكِّرَ ذَكَرَ «(٢)؛ المُؤمِنُ الحق لَيْسَ الَّذي يَقَعُ في الذُّنُوبِ، بَل هُوَ الَّذي إذَا وَقَعَ في الذَّنْبِ تَذَكَّرَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فَعَادَ إلَيهِ وَتَابَ إلَىٰ اللهِ فَتَقَبَّلَ اللهُ تَوْبَتَهُ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩) – (٢٧٥٨).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٠٤) (١١٨١٠). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٣٤٦) رقم (٢٢٧٦).

ثانيًا: مِن أَعْظَمِ مَا يُعَالِجُ الإِنْسَانُ بِه ذَنْبَه: أَن يَسْتَعْظِمِ الذَّنْبَ ولَا يَحْتَقِرَهُ.

فَلَا تَحْتَقِرَ ولَا تَسْتَصْغِرَ الذَّنْبَ الَّذي تَقَعُ فِيهِ، فالذَّنبُ الصَّغِيرُ غَدًا سَيَكُونُ كَبِيرًا؛ وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الحَدِيثِ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّىٰ أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَىٰ يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ»(١)، يَعْنِي: الذُّنُوبَ الَّتي تَحْتَقِرُونَهَا، كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطنِ وَادٍ فَجَاءَ هَذَا بِعُودٍ وَهَذَا بِعُودٍ حَتَّىٰ أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، يَعْنِي مَا عِنْدَهُمْ حَطَب، لَكِن كَلَّ وَاحِدٍ مِنْهُم جَاءَ بِعُودٍ مِنَ الحَطَبِ، العُودُ: هُوَ الغُصْنُ اليَسِير؛ لَو أَشْعَلْتَهُ لِوَحْدِهِ مَا أَشْعَلَ النَّارَ، لَكِن لَمَّا وَضَعُوهَا مَعَ بَعضِهَا أَشْعَلُوا بِها النَّارَ فَأَنْضَجُوا خُبْزَتَهُم، وإِن مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَىٰ يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُها تُدْرِكُه.

وَلِذَلِكَ ابنُ مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ وَاقِعٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَن يَقَعَ عَلَيهِ، وإِنَّ المُنَافِقَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧/ ٤٦٦- ٤٦٧)، (٢٢٨٠٨). قال المحقق: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، ومسند الروياني (٢/ ٢١٦) (٢٢٨٠٨).

عَلَىٰ أَنْفِهِ ثُمَّ قَالَ بِهِ هَكَذَا، المُنَافِق مَا هَمَّهُ الذَّنب فَكَأَنَّه كالذُّبَاب وَقَعَ عَلَىٰ أَنفِهِ، لَكِن المُؤمِنَ لَو وَقَعَ فِي ذَنبٍ يَسِيرٍ فَإِنَّهُ يَرَاهُ مُثل الجَبَلِ الَّذي يَخَافُ أَن يَسْقُطَ عَلَيهِ، فَالمُؤمِنُ مُسْتَشْعِرُ لِعَظَمَةِ الذَّنبِ؛ وِلِذَلِكَ يَقُولَ بِلَالُ بنُ سَعدٍ: «لَا تَنظُر إِلَىٰ صِغَرِ المَعصِيةِ لَكِن انظُر إِلَىٰ عِظَمِ مَنْ عَصَيت»(١)، وَيَقُولُ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لنَعُدُّهَا عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُوبِقَاتِ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ(٢)، يَعنِي: مِن الذُّنُوبِ العَظِيمَةِ.

وَلِذَلِكَ النَّبيُّ ﷺ حَذَّرَ مِنَ بَعضِ الذُّنُوبِ الَّتي لَا يُلْقِي لَها الإِنْسَانُ بَالًا، جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»(٣)، وجَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَر عَن حُذَيفَة: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ عَلَىٰ

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤/ ٤٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٧٨).

عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَصِيرُ بِهَا مُنَافِقًا، وَإِنِّي لَأَسْمَعُهَا مِنْ أَحَدِكُمُ الْيَوْمَ فِي الْمَجْلِسِ عَشْرَ مَرَّاتٍ»(١)، وَفِي رِوَايَةٍ «أَرْبَعُ مَرَّاتٍ»، كُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ احتِقَارِنَا واستِصْغَارِنَا لِلذُّنُوبِ.

ابنَ سِيرينَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: عَيَّرْتُ رَجُلًا بِالفَقْرِ، فافْتَقَرْتُ بَعْدَ أَربَعِينَ سَنَة(٢). يَعْلَمُ أَنَّهُ مَازَالَ هَذَا الأَمْرُ حَتَّىٰ أَصَابَه، الآن كَم يُعيِّر الإنسَانُ غَيرَهُ!، كَم يَسْتَهْزِئُ بِهِ!، كَم يَحْتَقِرُهُ!، والنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ»(٣)، فالمُسلِمُ لَا يَحقِرُ المُسلِمَ فِي أَيِ أَمرٍ، حَتَىٰ وإِنْ استَصْغَرَ هَذَا الأَمرَ؛ وَلِذَلِكَ ابنُ الجَلَاءُ يَقُولُ: «نَظَرتُ إِلَىٰ شَابٍ مُسْتَحْسنٍ -يَعنِي: أَعجَبَنِي وَاستَحسَنتُه-، فَنَسِيتُ القُرآنَ بَعْدَ أربَعِينَ سَنةً»(٤).

كَانُوا رَحِمَهُمُ اللهُ يَسْتَعْظِمُونَ الذُّنُوبَ، فَيَضَعُ هَذَا الذَّنبَ أَمَامَهُ حَتَىٰ إِلَىٰ حِينَ وَفَاتِه؛ لِاستِعْظَامِهِم الذَّنب حَتَىٰ وَإِنْ كَانَ الذَّنبُ صَغِيرًا.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨/ ٣١٢)، (٢٣٢٧٨). قال المحقق: أثر حسن.

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص ٢٠٧).

(٣) أخرجه مسلم (٣٢) - (٢٥٦٤).

(٤) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص ٢٠٧).

ولِذَلِكَ لَا يُمكِنُ أَنْ يَقَعَ الإِنسَانُ فِي مِثلِ هَذَا الأَمرَ: وَهُو احتِقَار الذَّنُوبِ، إِلَا إِذَا احتَقَرَ المُشتبهَات، النَّبِيُ ﷺ لمَّا قَالَ: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ»، ثُمَّ تَكَلَّمَ عَن المُشتبهَاتِ فَقَالَ:« فَمَنِ اتَّقَىٰ الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ»(١)، يَعنِي: أَنَّ المُشتبه حَتَىٰ وَإِن كَانَ مُشتبهـًا فَقَدْ يَكُونُ حَلَالًا وَقَد يَكُونُ حَرَامًا؛ فَتَرْكُه دَلِيلٌ عَلَىٰ إِيمَانِ العَبدِ، وَاستِبرَاءٍ لِعِرضِه، فَقَد تَتْرُك الشَّيءَ حتَىٰ وَإِن لَمْ يَكُن مُحَرَّمًا، دَفعًا لِعِرضَكَ حتَىٰ لَا يَتَكَلَمَ فِيكَ النَّاسُ، «كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ الْحِمَىٰ. يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ»، يَعنِي: يَدُورُ حَولَ الحِمَىٰ، فَهُو لَم يَقَعْ فِي المَعصِيةِ لَكِنَهُ يَدُورُ حَولَهَا.

كَأَن تَقُول: الغِنَاءُ حَرِامٌ؛ وَمَعَ ذَلِكَ تَذهَب إِلَىٰ هَذَا المَكَان وَفِيه غِنَاءٌ وَرَقصٌ، ثُمَّ تَقُول: أَنَا لَم أَستَمِع؛ هَذَا مَمَّا يُصَغِّرُ المَعصِيةَ عِندَه: فِي سَمعِه، وَفِي بَصَرِه، وَفِي لِسَانِه، وَفِي قَولِه.

وَمِثلُ ذَلكَ: التَّوَسُّع فِي بَعضِ الضَّرُورَاتِ. الشَّارِعُ حِينَمَا يُبِيحُ الضَّرُورَاتِ، فَالضَّرُورَاتُ تُقَدَرُ بِقَدرِهَا. المَرأَةُ حِينَمَا يُبَاحُ لهَا أَن

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٠٧) – (١٥٩٩). واللفظ له.

تَكشِفَ عَمَّا يَحْرُمُ عَلَيهَا كَشْفُه لِلحَاجَةِ: لِعِلاجٍ، لِينَظرَ إِليهَا زَوجُهَا عِندَ خِطبَتِهَا؛ فَلَيسَ مَعنَىٰ ذَلكَ أَن يَكُونَ ذَلكَ جَائِزًا؛ وَلِذَلكَ فَرقٌ بَينَ أَن يُبَاحَ لِلخَاطِبِ أَن يَنظَرَ إِلَىٰ مَخْطُوبَتِهِ لَحظَةً وَاحِدَةً، وَبَينَ أَن: يَجلَسَ مَعَهَا، وَيَخرَجَ مَعَهَا، وَيَمضِي مَعَهَا، وَيَسهَرَ مَعَهَا، وَهُو لَم يَعقِد عَلَيهَا بَعْدُ؛ هَذَا لَا يَجُوز؛ فَهُو مَن استِصغَار المُشتبهاتِ حَتِىٰ تُوقِعَهُ فِي المَحظُورَاتِ وَالمُحَرَّمَاتِ.

ثَالثًا: مِن الأُمُورِ الَّتِي يُعَالِجُ الإِنسَانُ بِهَا مِثل هَذِه الذُّنُوبَ وَالمَعَاصِي: مُرَاقَبَته لِرَبِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣]، يَكُونُ الإِنسَانُ مُرَاقِبًا لِرَبِّه سُبْحَانَهُ إِذَا جَعَلَ نَفسَهُ لوَّامَةً، فِي جَانِبِ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١-٢]، دَوَام لَوْمِه لِنَفْسِه وَاحتِقَارِه لَهَا، لَا يُعْجَبُ الإِنسَانُ بِأَعمَالِه الصَّالِحَةِ، لَا يُعْجَبُ الإِنسَانُ بِمَا قَدَّمَ مِن أَعمَالٍ؛ فَهَذِه الأَعمَالُ كُلُّهَا لَا يَعلَمُ الإِنسَانُ هِل تُقبَل أَم لَا؛ فَعَلَيهِ أَن يُدَاوِم عَلَىٰ لَوْمِه لِنَفسِه عَلَىٰ مَا تَقَعُ فِيهِ مِن ذُنُوبٍ وَمِن مَعَاصِي؛

لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ السَّابِقِ أَنَّ رَجلًا أَذنَبَ ذَنبًا: «...فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»(١)؛ لأَنَّهُ كَانَ يَلُومُ نَفْسَهُ باستِمرَارٍ، فَيُبَادِرُ إِلَىٰ التَّوبَةِ.

رَابِعًا: مِن الأُمُورِ الَّتِي يُعَالِجُ الإِنسَانُ بِهَا المَعصِيةَ: هُو البُعد عَن أَسبَابِهَا.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، مَا مِثَالُ ذَلِكَ؟، أَنَّ الإِنسَانَ قَد لَا يَقَعُ فِي المَعصِيةِ لَكِنَّهُ قَد يُشَاهِدُ مَنْ يَقَعُونَ فِي المَعصِيةِ، وَيَجلِسُ مَعَهُم، أَو يَستِمِعُ إِلَيهِم؛ فَهَذَا لَمْ يَبتَعِدْ عِن أَسبَابِ المَعصِيةِ.

بَعضُ النَّاسِ تَقُولُ لَهُ لَا تُشَاهِد قَنَوَاتِ السِّحرِ وَالشَّعوَذَةِ، لَا

(١) أخرجه مسلم (٢٩) - (٢٧٥٨).

تُشَاهِد هَذِه القَنَوَاتِ لِمَا فِيهَا: مِن مُنكَرَاتٍ، أَو مِن أَقوَالٍ بَاطِلَةٍ، أَو مِن انحِرَافَاتٍ فِي العَقِيدَةِ؛ يَقُولُ: لَا، أَنَا أُشَاهِدُهُم لِأَضْحَكَ عَلَىٰ عُقُولِهِم، نَقُولُ: لَا يَجُوز، بَلْ يَجِب أَن تَبتَعِدَ عَنْ المَعْصِيَةِ وَعَن مَا يُوقِعُكَ فِيهَا؛ حَتَّىٰ لَا تَقُودُكَ إِلَىٰ استِصْغَارِهَا والوقُوعِ فِيهَا.

وَلِذَلِكَ كَانَ مِن وَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُوصِيْ صَحَابَتَهُ رضي الله عنهم بِأَن يَبْتَعِدُوا عَن أَسبَابِ المَعَاصِي: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ»، الجُلُوسُ فِي الطَّرِيقِ مُبَاحٌ، فَالطَّرِيقُ مِلْكٌ مُشَاعٌ، وَلِذَلِكَ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَن يَقتَطِعَ مِنَ الطَّرِيقِ؛ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُصَلِّيَ فِي الطَّرِيقِ، قَالَوا: وَلِمَاذَا لَا يَجُوزُ لَهُ مَعَ أَنَّ الأَرْضَ طَاهِرَةٌ وَمُبَاحَةٌ؟!؛ قَالُوا: لِأَنَّ هَذَا المَكَان مِلْكٌ لِلجَمِيع، فَإِذَا صَلَّىٰ فِيهِ فَقَد اقتَطَعَ مِنْهُ جُزءًا لِنَفْسِهِ دُونَ النَّاسِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ»، «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا»، لَكِن لِأَنَّ الجُلُوسَ فِي الطَّرِيقِ مَدْعَاةٌ أَن يَقَعَ الإِنْسَانُ فِي مَعْصِيَةٍ، أَن يُشَاهِدَ مَعْصِيَة، أَن يَستَمِعَ إِلَىٰ مَعصِيَة، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ:

«غَضُّ الْبَصَرِ...»، يَعْني: إذَا رَأَيتَ مُنْكَرًا، امْرَأَةً عَارِيَة، أَو مُتَكَشِّفَة فَغُضَّ بَصَرَكَ.«..وَكَفُّ الْأَذَىٰ..»، فَلَا تُؤذِي النَّاسَ إذَا مَا مَرَّ بِكَ أَحَدٌ: لَا تَسُبَّهُ، لَا تَشْتُمَهُ، لَا تُؤْذِيهِ، وَلَا تُضَيِّقَ عَلَيهِ بِسَيَّارَتِكَ وَلَا بِمِشيَتِكَ، وَلَا بِلِسَانِكَ، وَلَا بِغَيرِ ذَلِكَ.

«...وَرَدُّ السَّلَامِ..»، رَدُّ السَّلَامِ؛ لِأَنَّ مِن دَوَاعِي الجُلُوس فِي الطَّرِيقِ أَنَّ المُسْلِمَ يَمُر فَسَيُسَلِّمُ عَلَيكَ؛ فَيَجِبُ عَلَيكَ أَن تَرُدَّ السَّلَام.

«..وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»(١). مِمَّا يَترَتَّبُ عَلَىٰ الجُلُوسِ فِي الطُّرِقَاتِ، أَنَّكَ قَد تَرَىٰ مُنْكَرًا يَجِبُ عَلَيكَ النَّهي عَنْهُ، يَجِبُ عَلَيكَ الأَمْر بِالمَعْرُوفِ إذَا وَجَدَّتَ تَقْصِيرًا فِيهِ؛ فَإِنْ لَم تَكُنْ تَسْتَطِعْ ذَلِكَ فَلَا تَجْلِس.

فَالمُبَاحُ إذَا قَادَكَ إلَىٰ مُحرَّمٍ صَارَ مُحَرَّمًا؛ وَلِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ نَهىٰ الإِنْسَانَ أَنْ يَقَعَ فِيمَا يَكُونُ سَبَبًا لِوقُوعِهِ فِي المَعْصِيَةِ حَتَّىٰ وَإِن كَانَ مُبَاحًا؛ وَأَقْرَبُ دَلِيلٍ عَلَىٰ ذَلِكَ، الدَّلِيلُ الَّذِي ذَكَرنَاهُ قَبْلَ قَلِيلٍ، قِصَّةَ الرَّجُلِ الَّذِي قَتَلَ تِسعَةً وَتِسعِينَ نَفسًا، فَأَمْرَهُ هَذَا العَالِمُ أَن يَخْرُجَ إلَىٰ

(١) أخرجه البخاري (٢٤٦٥)، ومسلم (٣) - (٢١٢١).

قَرْيَةٍ لَيْسَ فِيهَا مَا يَدْعُوهُ إِلَىٰ المَعْصِيَةِ.

خَامِسًا: مِنَ الأُمُورِ الَّتِي تُبْعِدُ الإِنْسَانَ أَو تُعَالِجُ مَا يَقَعُ فِيهِ مِنْ مَعْصِيَةٍ: مُدَاومَتهُ عَلَىٰ الاسْتِغْفَارِ.

الاستِغْفَارُ إِلَىٰ اللهِ ﷻ، اسْتَغْفِرُ الله، اسْتَغْفِر الله، اسْتَغْفِر الله؛ النَّبيُّ ﷺ كَانَ يَقُولُهَا، مَعَ أَنَّه قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؛ وَمَعَ ذَلِكَ يَقولُ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»(١)، يَعْنِي: تَصَوَّر وَهُوَ نَبِيُّ اللهِ، وَهُوَ المُكَلَّمُ، وَهُوَ المَعْصُومُ؛ وَمَعَ ذَلِكَ يُكْثِرُ مِنَ الاستِغْفَارِ؛ لِأَنَّ الاسْتِغْفَارَ أَدَبٌ عَظِيمٌ.

لِذَلِكَ مِن أَعظَمِ الآدَابِ كَمَا يَقُولُ العُلَمَاءُ: أَدَبُ الاسْتِغْفَارِ؛ لِأَنَّ الاستِغْفَار يَقِيكَ مِنَ الذُّنُوبِ مِن جَانِبَينِ:

الجَانِبُ الأَوَّل: أَنَّه يُحيِي فِيكَ تَعْظِيمَ اللهِ وَتَوْقِيرَهُ.

إِذَا كُنتَ تَسْتَشْعِرُ الاسْتِغْفَارَ دَائِمًا فَأَنتَ تُعَظِّمُ اللهَ؛ فَإِذَا عَظَّمْتَهُ لَا يُمكِنُ أَنْ تَقَعَ فِي مَعْصِيَةٍ، لَا يُمْكِنُ أَن تُخَالِفَ أَمْرَهُ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤١) - (٢٧٠٢).

الجَانِبُ الثَّانِي: أَنَّهُ سَبَبٌ لِمَحْوِ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي، وأَنَّهُ يَغْسِلُ الذُّنُوبَ.

وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**»(١)، «**يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي**»(٢)؛ فَاللهُ ﷻ يَغْفِرُ، وَجَعَلَ مِن أَعْظَمِ أَسْبَابِ عِلَاجِ الذُّنُوبِ وَمَحْوِهَا: هُوَ الاسْتِغْفَارُ.

الأَنْبِيَاءُ وَهُم خِيْرَةُ الخَلْقِ كَانُوا مِن أَكْثَرِ النّاسِ حِرْصًا عَلَى الاسْتِغْفَارِ

نُوحٌ عَلَيهِ السَّلَامُ يَقُولُ: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ﴾ [نوح: ٢٨]، يَطْلُبُ مِن رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المَغْفِرَةَ: لَهُ، وَلِوَالِدَيهِ، وَلِمَن دَخَلَ بَيْتَهُ، وَلِجَمِيعِ المُؤمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ؛ وَهُوَ مَن هُوَ؟! هُوَ نَبِيُّ اللهِ عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلام.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥) - (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي، (٥/ ٥٤٨)، (٣٥٤٠). قال الألباني: صحيح.

وَإِبْرَاهِيمَ عَلَيهِ السَّلامُ يَقُولَ: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]، وَهُوَ نَبِيٌّ وَمَعَ ذَلِكَ يُكْثِرُ مِنَ الاسْتِغْفَارِ، وَيَلْجَأُ إِلَىٰ رَبِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَمُوسَىٰ عَلَيهِ السَّلَامُ يَقُولُ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي﴾ [الأعراف: ١٥١] يَدْعُو رَبَّهُ وَيَطْلُبُ مِنهُ المَغْفِرَةَ.

وَلِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ يَقُولُ: «إِنَّ رَبَّكَ ﷻ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي»(١)، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ! اللهُ ﷻ: « يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ »(٢)، اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَنْزِلُ فِي الثُّلُثِ الأَخِيرِ مِنَ اللَّيلِ فَيَقُول: «»هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟»»(٣).

فَالتَّقْصِيرُ هُوَ مِنَّا: أَنَّنَا لَا نُكثِرُ مِنَ الاستِغْفَارِ، وَلَا مِنَ التَّوبَةِ، وَلَا مِنَ الرُّجُوعِ إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٤) (٢٦٠٣). قال الألباني: صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٣١) - (٢٧٥٩).

(٣) مسند البزار = البحر الزخار (١٥/ ١٣٧) (٨٤٥٠)، والنزول للدارقطني (١/ ١٢٢) (٣٨).

الكَلَامُ عَنِ الاسْتِغفَارِ كَلَامٌ عَظِيمٌ؛ لِأَنَّهُ مِن أَعْظَمِ اللُّجُوءِ إِلَىٰ اللهِ هُوَ الاستِغْفَار.

سَادِسًا: مِنَ العِلَاجِ الَّذي يُعَالِجُ الإِنْسَانُ بِهِ الذُّنُوبَ والمَعَاصِي: أَنْ يَنْشَغِلَ بِالعِبَادَةِ، أَنْ يَنْشَغِلَ بِالطَّاعَةِ.

لأَنَّكَ إِذَا لَم تَشْغَلَ نَفْسَكَ بِالطَّاعَةِ أَشْغَلَتْكَ بِالمَعْصِيَةِ، وَاللهُ ﷻ قَالَ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ يُصَلِّي فَسَتَنْهَاهُ صَلَاتُهُ عَن أَن يَقَعَ فِي المَعْصِيَةِ، وَأَن يَقَعَ فِي مُخَالَفَةٍ لِأَمرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ وَلِذَلِكَ يَقُولُ العُلَمَاءُ فِي تَفْسِيرِ قَولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٧-٨]، يَعنِي: إِذَا فَرَغْتَ مِن عِبَادةٍ فَانْصَب إِلَىٰ عِبَادَةٍ أُخرَىٰ، وَاجْعَل نَفْسَكَ رَاغِبًا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِاستِمْرَارٍ؛ الإِنْسَانُ إِذَا لَم يُشْغِل نَفْسَهُ بِعِبَادِةِ اللهِ ﷻ، وَلَم يُشْغِل وَقْتَهُ بِطَاعَةِ اللهِ؛ لَابُدَّ أَن يُضَيِّعَ وَقْتَهُ.

لَكِنَ الإِنْسَانُ الَّذي يَنْشَغِلُ بِالعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ قَلَّ أَنْ يُضَيِّعَ وَقْتَهُ في غَيرِ طَاعَةِ اللهِ؛ وَلِذَلِكَ: الاستِغْفَارُ، والتَّسبِيحُ، والتَّهْلِيلُ؛ لَا يَأْخُذُ مِنَ

الإنْسَانِ شَيئًا: وَهُوَ جَالِسٌ فِي سَيَّارَتِهِ، عَلَىٰ فِرَاشِهِ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ، وَهُوَ يِمْشِي فِي الطَّرِيقِ؛ يَسْتِغْفِرُ اللهَ، يُسَبِّحُ اللهَ، وَيَحْمَدُ اللهَ؛ يُشْغِل نَفْسَهُ بِالطَّاعَةِ، وَيَقْرَأُ القُرآنَ لِيَشْغَلَ نَفْسَهُ بِطَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَلِذَلِكَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً مِنْ أَقْصَىٰ الْمَدِينَةِ، فَأَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا، فَأَنَا هَذَا فَأَقِمْ عَلَيَّ مَا شِئْتَ،-يَعنِي: جاءه يُقولُ لَهُ طَبِّق فِيَّ الحَدَّ - فَقَالَ عُمَرُ: قَدْ سَتَرَ اللهُ عَلَيْكَ لَوْ سَتَرْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ، فَأَتْبَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَدَعَاهُ فَتَلَا عَلَيْهِ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ؟ فَقَالَ: «لِلنَّاسِ كَافَّةً»(١).

فَمِن أَعْظَمِ مَا يُعَالِجُ الإنْسَانُ بِهِ الذُّنُوبَ أَن يَنْشَغِلَ بِالطَّاعَةِ، لِمَاذَا؟! لِأَنَّهُ سَيَتَحَصَّل عَلَىٰ أَمرَينِ:

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ١٦٠) (٤٤٦٨). قال الألباني: حسن صحيح.

الأَمْرُ الأَوَّل: أَنَّهُ يَقْضِي وَقْتَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ.

الأَمْرُ الثَّانِي: أنَّ الطَّاعَاتِ تِمْحُوا السَّيِّئَاتِ.

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا..»(١)، يَعنِي: إذَا وَقَعْتَ فِي مَعْصِيَةٍ، مَا العِلَاجُ؟! هُوَ أَن تَعْمَلَ حَسَنَةً -عَمَلًا صَالِحًا- يَمْحُو اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا السَّيِّئَةَ؛ مَا قَالَ: يُزِيلُ، بَل قَالَ: يَمْحُو؛ فَالمَحْو: هُوَ إِزَالَةُ الأَثَرِ كُلِّهِ: «.. وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا..»، يَعنِي: إذَا وَقَعَتَ فِي سَيِّئَةٍ وَارْتَكَبْتَ ذَنبًا، فَبَادِر بِفِعْلِ الطَّاعَةِ يَمْحُوا اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهَا عَنْكَ الذُّنُوبَ وَالمَعَاصِي، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

واللهُ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: ﴿كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥] مَن هُوَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٥٥) (١٩٨٧). وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. قال الألباني: حسن.

الأَوَّاب؟ هَلْ الأَوَّاب الَّذِي لَمْ يَقَعْ فِي ذَنْبٍ؟!، يَقُولُ سَعِيدُ بِنُ المُسَيّب: الأَوَّاب هُوَ الَّذِي يُذْنِبُ ثُمَّ يَتُوبُ، ثُمَّ يُذنِبُ ثُمَّ يَتُوبُ(١)، فَاللهُ عَزَّوَجَلَّ: غَفورٌ، رَحيمٌ، يَغفِرُ الذَّنبَ، ويَأخُذُ بالذَّنبِ.

سَابِعًا: آخِرُ الأُمُورِ الَّتِي نَذْكُرهَا لِيُعَالِجَ بِهَا الإِنْسَانُ الذُّنُوبَ وَالمَعَاصِي هُوَ: أَلَّا يَيْأَسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ.

لَا يَنْبَغِي لِلمُؤْمِنِ مَهْمَا وَقَعَ فِي ذَنْبٍ أَو فِي مَعْصِيَةٍ أَن يَيْأَسَ مِن رَوْحِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَمَّا ذَكَرَ الذُّنُوبَ وَأَعْظَمُهَا الشِّرك باللهِ، قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]؛ فمَن تَابَ حَتَىٰ مِن الشَّركِ تَابَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيهِ؛ وَلِذَلِكَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ سَأَلَ النَّبِيّ ﷺ قَالَ أُمورٌ فَعَلتُهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٧٦).

الإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ، وَأَنَّ التَّوبَةُ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا![1].

فَلَا يَيْأَسُ الإِنْسَانُ مِن رَوْحِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ وَلِذَلِكَ لَمِا سَأَلَ رَجُلٌ عَبْدَ اللهِ بنَ عمَرَ: «كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي النَّجْوَىٰ؟ قَالَ: -النَّبِيُّ ﷺ-: يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّىٰ يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»[2].

اللَّهُمَّ كَمَا سَتَرْتَ عَلَيْنَا فِي الدُّنْيَا فَاستُر عَلَيْنَا يَوم القِيَامَةِ، اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، اللَّهُمَّ إِنَّا عِبَادُكَ الضُّعَفَاءُ بَيْنَ يَدَيْكَ، مُقِرُّونَ بِذُنُوبِنَا وَخَطَايَانَا، لَا حَوْلَ لَنَا وَلَا قُوَّة إِلَّا بِكَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ ضَعْفَنَا، اللَّهُمَّ اجْبُر كَسْرَنَا، يَا رَبّنَا أَنتَ إِلهُنَا، أَنتَ الرَّحْمَنُ، أَنْتَ الغَفُورُ، أَنتَ الكَرِيمُ، أَنْتَ ذُو مَغْفِرَةٍ وَاسِعَةٍ، أَنْتَ غَافِرُ الذُّنُوبَ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ أَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ، ذُنُوبُنَا أَكْثَرُ مِن أَعمَالِنَا،

---

(١) أصل القصة في صحيح مسلم (١٩٢) - (١٢١). عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٧٠، ٧٥١٤).

اللَّهُمَّ مُنَّ عَلَيْنَا بِتَوْبَةٍ نَصوحٍ، اللَّهُمَّ تَقَبَّل تَوْبَتَنَا، وَاغْسِل حَوْبَتَنَا، وَسَدِّدْ حُجَّتَنَا، اللَّهُمَّ طَهِّرْنَا مِن ذُنُوبِنَا وَخَطَايَانَا، رَبَّنَا إِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وإِن لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ، اللَّهُمَّ لَا حَولَ لَنَا وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِر لَنَا خَطَأَنَا، وَعَمْدَنَا، وَجَهْلَنَا، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا؛ لَا رَبَّ لَنَا سِوَاكَ فَنَرْجُوهُ، وَلَا إِلَه لَنَا غَيْرُكَ فَنَدْعُوهُ، اللَّهُمَّ مُنَّ عَلَيْنَا بَتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا خَلْوَتَنَا، وَتَمْحُو بِهَا جَلْوَتَنَا، وَتَغْفِر بِهَا زلَّتَنَا، وَتَرْفَعُ بِهَا دَرَجَتَنَا، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، رَبَّنَا سَتَرْتَنَا فِي الدُّنيَا، فَاستُرْنَا إِذَا وَقَفَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ، لَا إِلَه غَيْرُكَ، وَلَا رَبَّ لَنَا سِوَاكَ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ صَحَابَةِ نَبِيِّكَ أَجْمَعِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَن الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين.

المَصَادِر وَالمَرَاجِعْ

- الدَّاء والدَّواء، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١)، حققه: محمد أجمل الإصلاحي، خرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، راجعه: سليمان بن عبد الله العمير - علي بن محمد العمران، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م (الأولىٰ لدار ابن حزم)، عدد الصفحات: ٥٧٣.

- الروض الداني (المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير

- السراج المنير في الإعانة علىٰ معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧ هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ، عدد الأجزاء: ٤.

- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ -

٣٦٠ هـ)، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد - أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ١٠ (الأخير فهارس).

- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعي - الرياض / الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م)، عدد الأجزاء: ٢٥.

- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٦.

- سنن ابن ماجه، ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد

عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسىٰ البابي الحلبي، عدد الأجزاء: ٢ (متسلسلة الترقيم).

- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

- سنن الترمذي، محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة بن موسىٰ بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسىٰ (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.

- صحيح البخاري -الصحيح المسند...-، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي (١٩٤ هـ - ٢٥٦ هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، (الطبعة:

السلطانية، بالمطبعة الكبرىٰ الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني ثم صَوَّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولىٰ عام ١٤٢٢ هـ لدىٰ دار طوق النجاة – بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة).

– صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٣.

– صحيح مسلم، مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسىٰ البابي الحلبي – القاهرة) (وصَوّرتْها: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (١٤١٢ هـ/ ١٩٩١ م).

– صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، بعناية: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولىٰ

- كتاب النزول، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ)، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣ م، عدد الصفحات: ١٧٥.

- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت ٢٩٢ هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله (جـ ١ - ٩)، عادل بن سعد (جـ ١٠ - ١٧)، صبري عبد الخالق الشافعي (جـ ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولىٰ، (بدأت ١٩٨٨ م، وانتهت ٢٠٠٩ م)، عدد الأجزاء: ١٨.

- معجم الصحابة، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (ت ٣٥١ هـ)، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨، عدد الأجزاء: ٣.

- معجم الصحابة، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز

بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (ت ٣١٧ هـ)، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، الناشر: مكتبة دار البيان – الكويت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، طبع علىٰ نفقة: سعد بن عبد العزيز بن عبد المحسن الراشد أبو باسل، عدد الأجزاء: ٥.

١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤ م، عدد الصفحات: ٥٦٠.

عدد الأجزاء: ٢.

الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٥ – ١٩٨٥

الفهرس

الحِكْمَةُ مِنْ خَلْقِ اللّه تَعَالى لِلخَلقِ ٥
الذُّنوبُ وَالمَعَاصِي سَبَبُ الوَبَالِ عَلى الكَونِ كُلِه ٦
اللّهُ العَلِيمُ الحَكِيمُ بِحِكْمَتِه قَدَّر عَلَى عِبَادِه الوُقُوع فِي الذُّنوبِ والمَعَاصِي ... ٧
لِمَاذا قَدَّر اللّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْنَا الذُّنوبَ وَالمَعَاصِي؟! ٩
الذّنوبُ قِسمَان، أعظَمها جُرمًا ذنوب الخَلَوَات................................ ١١
الذّنوبُ والمَعاصِي لَهَا أثرٌ سَلْبِيٌّ عَلَى مُرتَكِبِيْهَا ١٥
المُتقي لِربِّه سُبْحَانهُ وَتعَالَى يكون أشَدّ خَشْيَةً لَهُ فِي السِّر؛ وَهَذه الخَشْيَةُ هِي السَّبَبُ الأعْظَمُ فِي دُخُولِ الجَنّة؛ لَأنهَا المِيزَانُ الدَّقِيق الّذِي سَيُوزَنُ بِه الأعْمَال يَومَ القِيَامَة. ١٨
أشَدّ النَّاس خَشْيَةً لِربِهم سُبْحَانهُ وَتعَالَى خَاصَّةً فِي الخَلْوَةِ هُم أنبِيَاءُ اللّه تعَالَى وَرُسُلِه؛ وَعلَى رأسِهم الرَّسُولُ ﷺ. ٢٠
نَمَاذِجُ مُشْرِقَةٌ لِمَنْ يَخَافُونَ اللّهَ عَزَّوَجَلَّ فِي سِرِّهِم................................ ٢٣
مِن أضْرَارِ ذُنوبِ الخَلَوَات: أنهَا سَبَبُ الفَضِيحَة، أصْلُ الانتِكَاسَات ٢٥
أسبَابُ الوُقُوعِ فِي الذُّنوبِ وَالمَعَاصِي، وَخَاصَّةً ذنُوبُ الخَفَاءِ وَالْخَلوات ٢٨
عِلَاجُ الذُّنوبِ والمَعَاصِي.. ٣٨
الأنبِيَاءُ وَهُم خِيْرَةُ الخَلْقِ كَانُوا مِن أكْثَرِ النَّاسِ حِرْصًا عَلَى الاسْتِغْفَارِ...... ٥٠